تأسست في: محرم ١٤٢٨هـ
الموافق كانون الثاني ٢٠٠٧م

أزاهر

دينية . ثقافية . اجتماعية

العدد ٩٩ شوال ١٤٤٣ هـ الموافق آيار ٢٠٢٢ م

نشرة فصلية مجانية
تصدر عن أزهر البقاع



الإسلاموفوبيا بدعة الغرب...
لإشاعة كراهية الإسلام والعرب



أزاهـــر

دينية ـ ثقافية ـ اجتماعية

مجلة فصلية مجانية تصدر عن أزهر البقاع، وهي مجلة شاملة ومنوعة، تعنى بالقضايا الدينية والثقافية والإجتماعية، يساهم في كتابتها مجموعة من أصحاب العلم والرأي الحر والفكر المستنير من لبنان والوطن العربي، قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) وبالاستناد إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها أردنا أن تكون مجلة أزاهر (مدرسة للمتعلم وتذكرة للعالم) من أجل الرقي بالمستوى الثقافي والحضاري للقارئ الكريم، آملين أن تشارك المجلة في النهضة العلمية والفكرية لوطننا العربي وعالمنا الإسلامي، والله من وراء القصد.

Designed By : Fadi Zaarour / fadizarour1977@gmail.com - 76565864



محتويات العدد

وتستمر المسيرة دين الله حياة للأرواح وأمان للمجتمعات ....كتابة د. الشيخ علي محمد الغزاوي	٢
مدى علم المسلمين بشريعتهم ـ الجزء الثاني .....عبد القادر عودة	٤
مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الإعتماد عليها ـ الجزء الأول.....فاضل جابر	٩
هل حاول ابن تيمية والسبكي وابن خلدون انقاذ دولة المماليك .....عبدالله الطحاوي	١٨
كتاب الإسلاموفوبيا وسياسة الإمبراطورية .....ديبا كومار	٢٩
كيف حولت أوروبا الإسلاموفوبيا إلى أسطورة خطيرة .....محمد عبد الله	٣٦
الباطنية سلالة الفرس المجوس ـ الجزء الثاني.....الشيخ بليل عبد الكريم	٣٨
اليهود في القرآن الكريم.....د. علي أبو غنيم	٤٣
سفينة النجاة .....الشيخ نجيب أبو شاهين	٤٥
حياتي في حجابي.....صفاء لولو	٤٦
أغاليط القرآن الكريم بدعة السفهاء الشيطانية.....الأستاذ أحمد بشتاوي	٥٠
بالأدب تنال الإرب.....الشيخ إبراهيم الغزاوي	٥٢
المواطنة والمسؤولية الفاعلة الهوية، الوطن، الدين.....الدكتور نادر جميل جمعة	٥٣
إلى روح الرجل الرجل.....الاستاذ كمال أبو علي	٥٩
موت الضمير وغياب العدالة في حرب وحصار غزة.....أنغيز أبو بكر	٦٠
الحق في الحياة.....الدكتور خالد جراح	٦٢
قراءة في مقال الدكتور ناجي معروف (عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان...الأستاذ سليم يوسف	٦٥
الفكاهة وصحة الطفل النفسية.....الدكتورة ربى شعراني	٦٧
وجدانـــيات.....الدكتورة أسماء القادري	٦٩
أقوال مأثورة.....	٧٢

أسـرة التحـرير :
رئيس التحرير: د.رعد مقبل العبيدي
المحـرر: الشيـخ مـروان الميـس
المصمم: م. فـادي محمود زعـرور

azahermagazine@yahoo.com 08 / 622 727
marwanmais38@yahoo.com 70 / 141 360
fadizaarour1977@gmail.com 76/ 565 864

وتستمر المسيرة:



دين الله حياة للأرواح وأمان للمجتمعات

كتابة: د. الشيخ علي محمد الغزاوي
شيخ قراء البقاع - مدير مؤسسات أزهر البقاع

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

اقتضت إرادة الله تعالى أن يخلق الإنسان من جسد و روح؛ أما الجسد فأصل خلقه من تراب وبه كانت حياته، ولذلك أصبح الجسد وعاء الروح، فاتحدت المادة بالصورة (الجسد والروح)، فإذا فارقت الصورة الهيولي انحل الجسد وفني وعاد لأصله (التراب)، حيث لا حياة ولا حركة، وهذا مصداق قوله تعالى (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)، الروم/٢٠.

وأما الروح فهي جسم لطيف روحاني خلقها سبحانه وتعالى ونسبها إليه تشريفاً وليس تبعيضاً، لأن الإنسان حادث والله قديم، ومن صفات القديم الخلق والبقاء، ومن صفات المخلوق الحدوث والفناء؛ قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)، الحجر/٢٩ .

فكما أن الماء الذي ينزل من السماء به تكون حياة الأرض وما عليها من إنسان وبهيمة ونبات، كذلك ما ينزل من السماء من وحي يكون حياة للروح وللإنسان لتكتمل صورة الإنسان ببعديه الجسدي والروحي.

ومن هنا يتبين لنا أن الوحي الذي أنزله الله لا يمكن إلا أن يكون سبباً لحياة الإنسانية وسبباً



لسعادتها، ولا يمكن أن يكون سبباً لشقائها. فمهمة الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان هي تبليغ ذلك الوحي قولاً وعملاً ليعم ذلك النور الذي أنزله الله الأرض فيخرج البشرية من الظلمات إلى النور؛ قال تعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، البقرة/ ٢٥٧.

فالصراع بين الخير والشر، والنور والظلام، والإيمان والكفر من خصائص ولوازم الحياة البشرية، كي تعمر الأرض وتستمر الحياة بإذن ربها على وفق سنة التدافع والتداول؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، وليعمل المكلفون بموجب الرسالات السماوية التي اختص الله

بها أهل السماء وأهل الأرض، واستجابة لنداء الباري سبحانه وتعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، التوبة/١٠٥. فأهل الإيمان يزيلون ظلام الكفر والطاغوت بنور الوحي والإيمان ،وأهل الكفر والشرك يريدون للنور ألا ينتشر كي لا يقضي على طاغوتهم وجبروتهم.

وبنتيجة التصادم بين الحق والباطل ينتصر أهل الحق وينهزم أهل الباطل، لأن وعده حق وهو القائل سبحانه وتعالى (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)، الرعد/١٧.

وفي مجتمعاتنا المعاصرة اليوم تعيش الإنسانية حالة من اليأس والقنوط، بسبب التوحش المادي والرأسمالي الذي أبعد البشرية عن إنسانيتها الروحية، فتهاوت وهوت وانتكست وهي تطلب السعادة بالمادة، وأنى لها ذلك وهي بعيدة عن الإيمان والروح والوحي.

واليوم حيث وصل الإنسان إلى ما وصل إليه من التقدم والتطور المادي والحضاري والتكنولوجي؛ فإني أجد أنه من الضرورة بمكان أن تتوجه البشرية إلى وحي السماء لتحقق إنسانيتها في عالم الحس والشهادة، وأن لا تعتقد أنها إذا تمسكت بوحي السماء ستشقى وتضل. لأن الوحي الذي كانت بدايته (اقرأ) هو دعوة إلى التأمل والتفكر في الكون وحياً منظوراً، وفي الكتاب وحياً مسطوراً، ليتكامل الوحي والعقل اللذان هما مصدرا التشريع والقانون كما جاء في مستصفى الغزالي رحمه الله تعالى تعالى: (أن الشريعة (القانون) وحي ومعقول وحي»؛ فينضبط العقل بالوحي، ونفهم الوحي بالعقل. وبذلك يزول التصادم أو التناقض بين ثنائية النقل والعقل، وتستقيم الحياة، ويعم الهدوء والسلام الداخلي الإنسان المعاصر الذي أتعبته المادة، وأبعده العقل المتفلت من القيود عن إدراك حقيقة نفسه وحقيقة الوحي.

ومن هنا نطلق عنان اللسان والقلم والحال لننادي القريب والبعيد وبكل صراحة نقول: (لا تخافوا من الإسلام بل خافوا على الأرض من غير الإسلام). وكذلك نقول أيضاً إنه لن تحجب مخططات أهل الطاغوت ذلك النور، مهما اعتمدوا من وسائل وتقنيات متطورة، سواء بوساطة الإعلام بكل صوره وأشكاله، أو باللجوء إلى الوسائل والأساليب السياسية المختلفة، التي تتمثل بدولة الطغيان المادي، التي تعمل على تظهير التدين والإيمان بالوحي على أنه مهلكة، ويعملون على ذلك من خلال زرع أفكار وأفعال في بعض أفرادنا لتشويه الشخصية الإسلامية، وليقطعوا هؤلاء عن أمتهم وبالتالي (لا ينتمون إليها ولا هي تنتمي إليهم)،كما كان يردد شيخنا الراحل سماحة المفتي الشيخ خليل الميس رحمه الله تعالى وهو يصف ما آل إليه حال الأمة وحال بعض أفرادها، إذ كان يقول (المخطط لئيم والمنفذ غشيم).

أختم لأقول من خلال مؤسسات العلم الصحيح الواضح الوسطي، ومن خلال المؤسسات التي تنتمي للأمة ولفكرها الذي يستقي من وحي السماء؛ سنعمل على تكريس وتثبيت المعادلة التالية (بقاء الأرض بوحي السماء، لأن الوحي حياة للإنسان وللأوطان).



مدى علم المسلمين بشريعتهم - الجزء الثاني

كتابة : عبد القادر عودة

ثانيا - الادِّعَاءُ بِأَنَّ الشَّرِيعَةَ لاَ تَصْلُحُ لِلْعَصْرِ الحَاضِرِ:

وبعض المثقفين ثقافة أوروبية يَدَّعُونَ أن الشريعة لا تصلح للعصر الحاضر، ولكنهم لا يعللون هذا الادعاء بعلة ما ولو أنهم قالوا: إن مبدأ معينا أو مبادئ بذاتها لا تصلح للعصر الحاضر وَبَيَّنُوا السبب في عدم صلاحيتها، لكان لِادِّعَائِهِمْ قيمة ولأمكن من الوجهة المنطقية مناقشة أقوالهم وتزييفها أما أَنْ يَدَّعُوا أن الشريعة كلها لا تصلح للعصر، ولا يقدمون على قولهم حجة واحدة، فذلك شيء غريب على ذوي العقول المفكرة،

وإذا عرفنا أنهم يدعون هذا الادعاء، وهم أجهل الناس بالشريعة جاز لنا أن نقول: إن ادعاءهم هذا قائم على الجهل والافتراء.

إن صلاحية الشرائع تقرر أن أساس صلاحية مبادئها وليس في الشريعة مبدأ واحد يمكن أن يوصم بعدم الصلاحية، وإذا استطعنا أن نستعرض طائفة من أهم المبادئ التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية علمنا إلى أي حد بلغ الجهل، والادعاء ببعض المسلمين.

فالشريعة الإسلامية تقرر مبدأ «المساواة» بين الناس بدون قيد ولا شرط وذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} ([سورة الحجرات، الآية: ١٣])، ويقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ المُشْطِ الوَاحِدِ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى»، وقد جاءت الشريعة بهذا المبدأ منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، بينما القوانين الوضعية التي يفخر بها الجهلاء لم تعرف هذا المبدأ إلا في أواخر القرن الثامن عشر، ولا تزال معظم الدول الأوروبية، والولايات الأمريكية تطبق هذا المبدأ تطبيقا مقيدا.

وقد قررت الشريعة من يوم نزولها مبدأ «الحرية» في أروع مظاهرها، فقررت حرية الفكر، وحرية الاعتقاد، وحرية القول، والنصوص في ذلك كثيرة نجتزئ منها قوله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} ([سورة يونس، الآية: ١٠١].)، وقوله: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ} ([سورة البقرة، الآية: ٢٦٩])، وقوله: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} ([سورة البقرة، الآية: ٢٥٦].، وقوله: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ([سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].). ومبدأ الحرية بشعبه الثلاث لم تعرفه القوانين الوضعية إلا بعد الثورة الفرنسية. ولكن الجهلاء يسلبون الشريعة فضائلها ويدّعونها للقوانين الوضعية.

ومن المبادئ التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية مبدأ «العدالة» المطلقة وذلك قوله تعالى: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعدل} ([سورة النساء، الآية: ٥٨]، وقوله: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا} ،[سورة المائدة، الآية: ٨]. وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ

غَنِيّا أَوْ فَقِيرا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا} (سورة النساء-١٣٥). وهذا المبدأ الذي جاءت به الشريعة من يوم نزولها لم تعرفه القوانين الوضعية إلا ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر.

هذه هي المبادئ الثلاثة التي تقوم على أساسها القوانين الوضعية الحديثة، عرفتها الشريعة قبل القوانين بأكثر من أحد عشر قرنا. فكيف تصلح القوانين للعصر الحاضر. ولا تصلح الشريعة وهي تقوم على ذات المبادئ نفسها !؟

و الشريعة الإسلامية جاءت بمبدأ «الشورى» من يوم نزولها وذلك قوله تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} ([سورة الشورى، الآية: ٣٨].، وقوله: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} (.[سورة آل عمران: ١٥٩]. ولقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية بأحد عشر قرناً في تقرير هذا المبدأ، عدا القانون الإنجليزي الذي أخذ بالمبدأ بعد الشريعة بعشرة قرون. فالقوانين الوضعية حين قررت مبدأ الشورى لم تأت بجديد وإنما انتهت إلى ما بدأت به الشريعة الإسلامية.

والشريعة الإسلامية جاءت من يوم نزولها بتقييد سلطة الحاكم. وباعتباره نائبا عن الأمة، وبمسؤوليته عن عدوانه وأخطائه. فالشريعة تطبق على الحاكم وغير الحاكم بمنزلة سواء والحاكم مقيد في تصرفاته بكل ما جاءت به الشريعة ولا ميزة له على المحكومين، وكل ذلك تطبيق لنظرية المساواة.

ولقد جاءت الشريعة بهذه المبادئ التي تقوم عليها الحكومات العصرية، قبل أن تعرف القوانين الوضعية هذه المبادئ بأكثر من أحد عشر قرنا، فكيف يقال: إن الشريعة لا تصلح للعصر الحاضر!!.

والشريعة الإسلامية نزلت بتحريم الخمر وإباحة الطلاق، وذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} ([سورة المائدة، الآية: ٩٠]، وقوله: {الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} ([سورة البقرة، الآية: ٢٢٩]، ولم تعرف القوانين الوضعية تحريم الخمر، وإباحة الطلاق إلا في هذا القرن، وبعض القوانين يحرم الخمر تحريما مطلقا، وبعضها يحرمها تحريما جزئيا، وبعضها يبيح الطلاق بدون قيد، وبعضها يقيده، فكيف تصلح القوانين التي اتخذت عن الشريعة، ولا تصلح الشريعة؟!.

والشريعة الإسلامية أول شريعة جاءت بنظرية التعاون الاجتماعي، ونظرية التضامن الاجتماعي، وذلك قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} ([سورة المائدة، الآية: ٢]. . وقوله: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} ([سورة التوبة، الآية: ١٠٣]. وقوله: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ([سورة التوبة، الآية: ٦٠]. ، وقوله: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} (.[سورة الحشر، الآية: ٧].

وقد عرفت الشريعة هاتين النظريتين منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، ولم يعرفها العالم غير الإسلامي إلا في هذا القرن العشرين وهو يطبقها إلى حد محدود.

والشريعة تحرم الاحتكار، وتحرم استغلال النفوذ، والرشوة، فيقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ». ويقول الله تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ([سورة البقرة، الآية: ١٨٨]. . وهذه المبادئ لم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيرا.

والشريعة تقوم على تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الإثم والبغي بغير الحق. وذلك قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} ([سورة الأعراف، الآية: ٣٣]. وتقوم الشريعة على الدعوة للخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ([سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].. وهذه المبادئ التي تقوم عليها الشريعة هي المثل العليا التي يتطلع إليها البشر، وتحلم بها الإنسانية، فكيف لا تصلح الشريعة لعصر يرى مبادئها مثله العليا !؟.

ولو تتبعنا المبادئ الإنسانية، والاجتماعية، والقانونية التي يعرفها هذا العصر ويفخر بها أبناؤه لوجدنا كلها واحدا واحدا في الشريعة الإسلامية على أحسن الصور وأفضل الوجوه، ولولا الإطالة لأتيت بطائفة أخرى من المبادئ والنصوص المقررة لها.

وهكذا يتبين أن الادعاء بعدم صلاحية الشريعة ادعاء أساسه الجهل بالشريعة، ولا سند له من الواقع المحسوس، ولعل العذر الوحيد الذي يمكن أن يعتذر به لأصحاب هذا الادعاء أنهم تعلموا أن القوانين الوضعية القديمة كانت تقوم على مبادئ بالية ينكرها العصر الحاضر، فحفظوا هذا القول على أنه قاعدة عامة وطبقوه على الشريعة، لانطباق صفة القدم عليها بدون أن يفكروا فيما بين الشريعة والقوانين من فروق بيناها فيما سبق.

ثَالِثًا - الادِّعَاءُ بِأَنَّ بَعْضَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مُؤَقَّتٌ:

وبعض المثقفين ثقافة أوروبية يرون أن الشريعة تصلح للعصر الحاضر، إلا أن بعض أحكامها جاء مؤقتا، وهم يقصدون بعض الأحكام الجنائية، وبصفة خاصة العقوبات التي لا مثيل لها في القوانين الوضعية، كالرجم والقطع وتسألهم الحجة على ادعائهم فلا تجد لهم حجة، وإنما هو الظن الذي لا يغني عن الحق شيئا.

إنهم لا يرون مقابلاً لبعض العقوبات في القوانين الوضعية، فيحاولون التخلص منها بهذا الادعاء، ولو أخذت القوانين إذاً بهذه العقوبات لعدلوا عن ظنهم!! وقالوا: إنها أحكام دائمة!!.

ولو كان هؤلاء المسلمون يفهمون الإسلام على وجهه لما قالوا مثل هذا القول، لأن أحكام الإسلام دائمة لا مؤقتة، ولأن ما لم ينسخ منها قبل موت الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فلا نسخ له إلى يوم النشور، وقد أكّد القرآن قبيل موت الرسول الكريم بأن صرح الدين قد تم بناؤه، ولم يعد قابلاً للزيادة أو النسخ، وذلك قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا} [سورة المائدة، الآية: ٣]..

ألا يعرف هؤلاء المسلمون أنه لو جاز القبول بالتوقيت في بعض الأحكام لجاز في بعضها الآخر، وأنه لو ترك لكل إنسان أن تحكم هواه لذهب الإسلام.

رَابِعا - الادِّعَاءُ بِأَنَّ بَعْضَ الأَحْكَامِ لاَ يُسْتَطَاعُ تَطْبِيقُهَا:

وأصحاب هذا الرأي يناقضون من سبقوهم، ويرون أن كل أحكام الشريعة دائمة وواجبة التطبيق ولكنهم يرون أن بعض عقوبات الشريعة، وهي القطع والرجم لا يمكن تطبيقها اليوم، لضعف الدول الإسلامية، ووجود عدد من الأجانب في بلادها لا يقبلون أن تطبق عليهم هذه العقوبات، أو ترضى دولهم بأن تطبق عليهم. فأصحاب هذا الرأي لا يرون تطبيق

الشريعة؟ خشية إغضاب الدول الأجنبية.

وهذا الرأي لا يتفق و الإسلام، فالله - جَلَّ شَأْنُهُ - يقول: {فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} ([سورة المائدة، الآية: ٤٤]..

ولمثل أصحاب هذا الرأي نقول: إن كثيرا من الفقهاء لا يرون الرجم ولا القطع على الأجنبي إذا زنا أو سرق، وليس ثمة ما يمنع من الأخذ بهذا الرأي.

ونحن ننبه بهذه المناسبة على أن عقوبة الرجم تكاد تكون عقوبة رمزية، إذا من الصعب أن يثبت الزنا بشهادة الشهادة وكل الجرائم التي رجم فيها على عهد الرسول والخلفاء الراشدين تثبت بالاعتراف لا بالشهادة، فالزنا التام لا يثبت إلا بأخذ هذين الطريقين، ويشترط في الشهادة أن تكون من أربعة رجال عدول، يشهدون حالة الوطء، ومن النادر أن يحدث هذا، كما أنه لا يوجد اليوم من يدفعه إيمانه للاعتراف بالزنا والإصرار عليه.

خَامِسا ـ الإدِّعَاءُ بِأَنَّ الفِقْهَ الإِسْلاَمِيَّ يَرْجِعُ إِلَى آرَاءِ الفُقَهَاءِ:

يعتقد بعض المثقفين ثقافة أوروبية أن الفقه الإسلامي من ابتكار الفقهاء في أغلب الأحوال، وإذا عرض عليهم إنسان نظرية فقهية إسلامية من النظريات التي لم يعرفها علماء القانون الوضعي إلا أخيرا أدهشهم أن يصل الفقهاء الإسلاميون في القرن السابع والثامن الميلادي إلى ما لم يصل إليه علماء القانون إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. ولقد قال لي: بعضهم ذات مرة إنه يعتقد أن أئمة المذاهب الفقهية كانوا فوق مستوى البشر لأنهم استطاعوا بتفكيرهم أن يسبقوا الفكر البشري بثلاثة عشر قرنا.

ولا شك في خطأ من يظن أن الفقه الإسلامي من ابتكار الفقهاء الإسلاميين، ومن يظن أنهم سبقوا بتفكيرهم الفكر البشري، والصحيح أن رجال الفقه الإسلامي على اتساع أفقهم وجودة تفكيرهم لم يأتوا بشيء من عندهم، ولم يكونوا فوق مستوى البشر، وكل ما في الأمر، أنهم وجدوا أمامهم شريعة غنية بالنظريات والمبادئ، فشرحوا هذه المبادئ، وعرضوا تلك النظريات، ولم يفعلوا شيئا أكثر مما يفعله كل فقيه ومجتهد، يحاول أن يجمع تحت كل نظرية ما تمتد إليه، وتحت كل مبدأ ما ينطبق عليه وإذا كان هناك ابتكار، أو سبق في التفكير، فهو ابتكار لشريعة سبقت تفكير البشر، وجاءت بأسمى النظريات، لتوجيه البشر نحو السمو والكمال، ورفعهم إلى مستوى الشريعة الرفيع.

فالفقهاء لم يبتكروا نظرية المساواة المطلقة، ولا نظرية الحرية الواسعة، ولا نظرية العدالة الشاملة، وإنما عرفها الفقهاء من نصوص القرآن والسنة التي جاءت بها وقد عرضنا هذه النصوص فلا داعي للعودة إليها.

والفقهاء لم يخلقوا نظرية الشورى، ولا نظرية تقييد سلطة الحاكم واعتباره نائبا عن الأمة، ولا نظرية مسؤولية الحاكم عن أخطائه وعدوانه، ولا نظرية الخمر، ولا نظرية الطلاق، وإنما عَرَّفَ الفقهاء هذه النظريات من نصوص القرآن والسنة، وقد بسطنا هذه النصوص فيما سبق.

والفقهاء ليسوا هم الذين اشترطوا الكتابة في الالتزامات المدنية، وأجازوا الإثبات بشهادة الشهود في المواد التجارية وإنما هو نص القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... - إلى قوله تعالى - وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ... - إلى قوله تعالى - إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا ... } (.[سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

والفقهاء لم ينشئوا نظرية بطلان عقود الإذعان ونظرية حق الملتزم في إملاء شروط

العقد، وإنما القرآن هو الذي جاء بهذا كله في قوله تعالى: {وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ} [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢]..

والفقهاء لم يبتكروا ما يسمونه بنظرية الطوارئ، وما نسميه نحن بعرفنا القانوني بنظرية تغير الظروف، وإنما أخذ الفقهاء النظرية من نصوص القرآن من قوله تعالى: {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسا إِلاَّ وُسْعَهَا} ([سورة البقرة، الآية: ٢٨٦]، وقوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} ([سورة الحج، الآية: ٧٨]، وقوله: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} ([سورة الأنعام، الآية: ١١٩]..

والفقهاء لم يضعوا نظرية إعفاء المكره والمضطر. وإنما جاءت الشريعة بالنظرية في قوله تعالى: {إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ} ([سورة النحل، الآية: ١٠٦]، وقوله: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ} (،[سورة البقرة، الآية: ١٧٣]. وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

والفقهاء لم يأتوا بنظرية إعفاء الصغير والمجنون والنائم من العقاب. وإنما قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثٍ , عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ , وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَصْحُوَ , وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ».

والفقهاء لم يجيئوا بنظرية تقرير العقاب، وإنما جاء القرآن في قوله: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}» ([سورة الأنعام، الآية: ١٦٤].

وقال بها الرسول - صلى الله عليه وسلم -: « ... ولاَ [يُؤْخَذُ] الرَّجُلُ بِجَرِيرَةِ أَبِيهِ، وَلاَ بِجَرِيرَةِ أَخِيهِ» وحيث يقول لأبي رمثة وولده: «إِنَّهُ لاَ يَجْنِي [عَلَيْكَ]، وَلاَ تَجْنِي عَلَيْهِ».

والفقهاء ليسوا هم الذين فرقوا بين أحكام العمد وأحكام الخطأ. ولكنه القرآن في قوله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ} ([سورة النساء، الآية: ٩٢]. ... الخ، الآية، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} ([سورة البقرة، الآية: ١٧٨]، وقوله: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} ([سورة الأحزاب، الآية: ٥]..

وهكذا لا نجد نظرية ولا مبدأ عاما إلا جاء فيه نص من القرآن أو السنة، وما فعل الفقهاء شيئا إلا أنهم شرحوا النظرية أو المبدأ، وبينوا شروط تطبيق كل نظرية أو مبدأ، وما يدخل تحتهما مقيدين أنفسهم في ذلك بنصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية.

إلاّ أن الفقهاء على الرغم من هذا قد بذلوا مجهودا عظيما في رد الفروع والجزئيات إلى أصولها، وبيان ما ينطبق عليها من الأحكام لأن الشريعة كما ذكرنا من قبل لم تأت بنصوص تفصيلية تحكم الفروع والجزئيات في كل الأحوال. و هذا هو حكم الواقع و ليس الحق في الادعاء بأن الفقه الإسلامي من ابتكار الفقهاء. ولعل أصحاب الادعاء وقعوا في الخطأ.

لأنهم يقيسون فقه الشريعة على فقه القانون فكل أحكام القانون يبتكرها علماء القانون قبل أن تكون أحكاما ملزمة، وتشريعا ساريا.

وبودي لو أن هؤلاء السادة قرأوا شيئا من مذهب الظاهريين فإن هؤلاء الفقهاء لا يعتبرون مصدرا للشريعة إلاّ القرآن والسنة والإجماع، ولا يعترفون بالقياس وغيره من المصادر كمذهب الصحابي، وعلى الرغم من أن الظاهريين لا يقبلون الأحاديث المرسلة، فقد استطاعوا أن يجدوا لكل حكم، ولكل مبدأ، ولكل نظرية نصا صريحا في القرآن أو السنة الصحيحة، وأظن أن في هذا وحده ما يكفي لأن يقتنع هؤلاء السادة بخطأ عقيدتهم في الفقه الإسلامي.

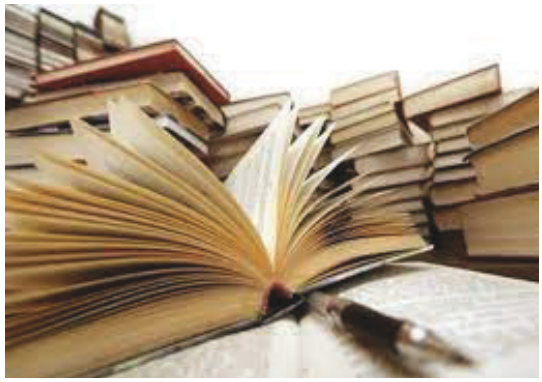


مصادر التاريخ الإسلامي
وكيفية الاعتماد عليها- الجزء الأول

الباحث: فاضل جابر

هناك مقولة مشهورة بين الباحثين في التاريخ وهي «لا تاريخ بلا مصادر» اذ لا يمكن للباحث ان يكتب بدون الرجوع إلى المصادر ليستقي منها المادة الأولية التي تزوده بالنصوص الكفيلة بكتابة متن البحث، فعملية كتابة التاريخ تقوم على المصادر، ولذلك اشترط على الباحث ان يتأكد من توافر مصادر كافية قبل الشروع في عملية البحث. والواقع ان عمل المؤرخ يختلف عما هو عليه عند الأديب، فالأخير يمكن ان يكتب القصص والروايات التاريخية اعتماداً على ذاكرته وخياله، أما المؤرخ فانه مقيد بضوابط وقواعد التوثيق، وذلك بإسناد كل ما يقتبسه من معلومات أولية عن الموضوع إلى مصادرها، ومهما نال الباحث من شهادة جامعية في حقل الدراسات التاريخية ومهما اتسعت شهرته، فان ذلك لا يمكنه من اخذ المعلومات بدون توثيقها في الهامش، لان ذلك منافٍ لقواعد المنهج العلمي في دراسة التاريخ وكتابته، والمؤلفات التاريخية الحديثة التي لا تلتزم بالتوثيق لا يعتد بها.

ولما كانت المصادر على هذه الدرجة من الأهمية لذا جاء هذا البحث للتعريف بمصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها وكيفية الاعتماد عليها من قبل الباحثين، واقتضت مادة بحثنا ان تقسم إلى ثلاث نقاط هي: المصادر والمراجع في التاريخ الإسلامي، أنواع المصادر وبيان طرق الاعتماد عليها وهو أمر مهم لانه يوضح للباحث في مجال التاريخ الإسلامي



كيفية استخدام المصادر ويسهل له طرق الوصول إليها بسهولة ويسر. وتطرق البحث الى الحديث عن بعض المؤرخين المسلمين وأهم إسهاماتهم في التدوين التاريخي.

أولاً: المصادر والمراجع في التاريخ الإسلامي

ان الحديث عن مصادر التاريخ الإسلامي لا يمكن ان يستوفى أمره في هذا المختصر، فهي كثيرة ومتنوعة، وتنقسم إلى المصادر القديمة التي ألفها المؤرخون المسلمون الذين ينتمون إلى عصور إسلامية مختلفة ، ويمكن ان نطلق عليها اسم «المصادر» وهناك المصادر الحديثة التي ألفها الباحثون العرب والأجانب معتمدين في كتابتها على المادة الأولية المستقاة من المصادر القديمة وهذا النوع من المصادر يمكن ان نطلق عليه اسم «المراجع».

والنوع الأول «المصادر» كثيرة ومتنوعة على الرغم من الأعداد الكبيرة التي فقدت منها عبر الزمن، وتنقسم المصادر تبعاً لما تحتويه

من مادة تاريخية إلى مصادر أولية ومصادر ثانوية، والأساس الذي يحدد هذا التقسيم هو الحقبة الزمنية التي يعالجها الموضوع الذي يدرسه الباحث فكتابات الواقدي(ت٢٠٧هـ) عن الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الأموي تعد مصدراً أولياً، أما ما كتبه ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) عن الموضوع ذاته في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» فلا يمكن ان يكون كذلك، إلا في حالة كونه «أي المؤرخ المتأخر زمانياً عن الأحداث المراد البحث فيها» قد اطلع على كتب فقدت ولم تعد في حيز الوجود حالياً ونقل منها وجاء بروايات مختلفة لما جاء به الواقدي، فعند ذاك يمكن الاعتماد عليها وعدها مصدراً أولياً.

إن المصدر القديم يعد مصدراً أولياً يعتد به أكثر من غيره في حالة كون المؤلف معاصراً زمانياً وقريباً من حيث المكان لأحداث الموضوع الذي يبحث فيه وشخصياته، فاذا كان الموضوع يتناول مثلاً حدثاً تاريخياً وقع في العراق في القرن الثالث الهجري، فإن المصدر الأولي المثالي في هذه الحالة هو كتابات اليعقوبي(ت٢٨٤هـ) ومن على مثاله أو قريب منه. وكثيراً ما تثار ملاحظات سلبية في مناقشات طلبة الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي، حينما يعتقدون ان كل مصدر قديم بمثابة مصدر أولي، فتجد بعضهم ينقل نصاً عن تاريخ واسط في القرن الثاني الهجري من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) فالمصدر هنا قديم، ولكنه بعيد جداً مكاناً وزماناً عن الموضوع، لذا لا يعد مصدراً أولياً. لأن المؤرخ الذي يشاهد الحدث بأم عينيه تكون رواياته أرجح من الذي ينقل الأخبار مشافهة عن طريق السماع، أما كيفية معرفة ذلك فعن طريق المصطلحات التي ذكرها المؤرخ قبل كتابة خبر الحدث مثل: «أخبرنا» «سمعت»، «رأيت». ويرى فرانز روزنثال ان أهمية «أي تاريخ إسلامي كمصدر تاريخي يقررها قدمه وقربه من الحوادث التي يصفها أو استخدامه لكتب مفقودة قديمة أو قربه من المعاصرة».

ونضيف إلى ذلك أن المؤرخ لا يكفي أن يكون معاصراً لتعتمد كتاباته بوصفها مصدراً أولياً، ما لم يتمتع بالثقة والمصداقية واعتماده على مشاهدة الأحداث عياناً أو سماع أخبارها عن أناس اشتركوا فيها أو شاهدوها. إن قيمة الأخبار التي يدونها المؤرخ مشاهدة تكمن في كونه سينفرد بذكرها على الأغلب، قال المسعودي (ت٣٦٤هـ) في وصفه لكتاب «الاوراق في أخبار الخلفاء» للصولي(ت٣٣٥هـ) لقد ذكر فيه «غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه». ان معرفة سنة وفاة المؤرخ وموطنه الأصلي والمناطق التي رحل إليها أو استقر بها لمدد معينة يعد أمراً ضرورياً للباحث، لأنه بوساطة ذلك سيعرف ما إذا كان من أصحاب المصادر الأولية أم لا، وذلك من مقارنة تلك المعلومات بالأحداث التي يتناولها بالبحث والدراسة.

وهناك بعض الباحثين يعتمدون المصادر المتخصصة في تدوين أخبار مدينة ما أو تراجم لأشخاص يشتركون بصفة معينة، تصلح لأن تكون مصدراً أولياً بجميع ما تحويه من معلومات، وهذا أمر فيه نظر، فكتاب «تاريخ مكة» للفاسي(ت٨٣٢هـ) لا يصلح أن يكون مصدراً اولياً لأخبارها في القرنين الأول والثاني الهجريين لأنه بعيد جداً، فضلاً عن كونه قد نقل من مصادر أخرى أقرب من حيث الزمان والمكان، كما أن «تاريخ الخلفاء» لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) يعد مصدراً أولياً لأخبار خلفاء بني العباس في مصر المعاصرين للمؤلف، ولكنه لايعد كذلك لأخبار خلفاء بني أمية أو

العباسيين في بغداد، على الرغم من أنه خصص كتابه لتاريخ الخلفاء، إذ أن كتابات الطبري(ت٣١٠هـ) والمسعودي(ت٣٦٤هـ) وابن الجوزي(ت٥٩٧هـ) وابن الأثير(ت٦٣٠هـ) هي المعول عليها والمقدمة على غيرها في اقتباس المعلومات.

وقد يطرح سؤال متى يصبح المصدر البعيد زماناً ومكاناً عن الأحداث مصدراً أولياً؟ وللإجابة عن ذلك نقول أنه ممكن في بعض الحالات منها عندما ينقل مؤلف ذلك الكتاب نصوصاً ومعلومات تاريخية تخص موضوع البحث عن مصدر أولي عاصر مؤلفه تلك الأحداث وكان قريباً من حيث مكان وقوعها، ومثال ذلك كتاب «العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك» لمؤلفه اليماني الملك الأشرف الغساني(ت٨٠٣هـ) الذي نقل فيه معلومات مهمة عن تاريخ العراق من كتاب ابن الساعي البغدادي(ت٦٧٤هـ) الموسوم «الجامع المختصر». فكتابات ابن الساعي عن الأحداث التي عاصرها وكتب عنها في كتابه المفقود تعد معلومات أصلية ومصدرها أولي في هذه الحالة حتى وإن نقلت من قبل مؤلف يماني متأخر عنها، لأن الكتاب الأصل قد حفظت من قبله وتزداد قيمة وأهمية هذه المعلومات، كلما قلت المصادر عن الموضوع.

أما المراجع، فتشمل دراسات الباحثين العرب والأجانب عن قضايا وأحداث وشخصيات التاريخ الإسلامي، معتمدين في تأليفها على كتابات المؤرخين القدامى التي يفترض أن تكون مصادر أولية. وتتفاوت قيمة المراجع تبعاً لجدية وأصالة موضوع الدراسة وأهميته وما توصل إليه الباحث من نتائج ونوعية المصادر الأولية التي اعتمد عليها والطريقة التي اعتمدها في معالجة الموضوع. والذي يهمنا هنا ان نشير إلى أن فائدة هذه الكتب للباحث محددة بنقل الآراء المطروحة ووجهات النظر وما توصل إليه المؤلف من نتائج وكذا الحال للإحصاءات والجداول، أما الاعتماد عليها في اقتباس المعلومات الأولية فلا يصح ما دام مصدر تلك المعلومات متوافراً، أي بعبارة أخرى، إذا كان المرجع قد اعتمد على مصدر لم يعد متوفراً، وحوى معلومات أصلية لا تتوفر عنها مصادر أخرى عند ذاك يمكن الاعتماد في نقل المعلومة على المرجع مع الإشارة إلى مصدرها الذي نقل منه مؤلف المرجع، وعليه فان اعتماد الباحثين وطلبة الدراسات العليا على المراجع في اقتباس المعلومات بدون التقيد بتلك القاعدة يعد ضعفاً منهجياً.

ومن المراجع ايضاً الدوريات وهي المطبوعات التي تصدر في حقب متعاقبة منتظمة تحوي معلومات مهمة لا غنى للباحث عنها، لأنها تقوم بنشر آخر نتاجات الباحثين، لذا فان معلوماتها أحدث من معلومات الكتب في الغالب ولا سيما المجلات المتخصصة التي تتبنى إصدارها الجامعات ومراكز البحوث الجامعية، كالمجمع العلمي العراقي ومركز إحياء التراث ومركز دراسات الخليج العربي وغيرها.

أما المراجع التي تكتب بشكل عام عن أحداث التاريخ الإسلامي أو التاريخ الأوربي أو التاريخ القديم فان قيمتها أقل من قيمة الكتب المتخصصة والدوريات لأنها تكتب عن حقبة طويلة ومساحة مكانية واسعة تضم أحداثاً كثيرة، وكل ذلك يؤثر بدقة المعلومات وتفصيلها، ومثال ذلك الكتب التي تحمل عنوان «تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر» أو «التاريخ الإسلامي» أو «تاريخ العالم القديم».

وقد يسأل سائل هنا هل أن هذا التقسيم مقتصر على مصادر التاريخ الإسلامي؟ والجواب لا، فان التاريخ الحديث والمعاصر

له مصادر ومراجع أيضاً، فتاريخ العراق المعاصر مثلاً توجد عنه مصادر كثيرة غير ان بعضها لا يعد مصدراً أولياً، فكتابات عبد الرزاق الحسني عن نوري السعيد أحد شخصيات العهد الملكي تعد مصدراً أولياً، كونه قريب منه ومعاصر له، أما ما كتبه عبد الرزاق النصيري عن الشخصية ذاتها في رسالته للماجستير، فيعد مصدراً ثانوياً «مرجعاً» مهما نالت تلك الرسالة من شهرة علمية، والسبب هو اعتماد الأخير على كتابات الأول التي تحوي «المادة الأولية».

إن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر المتخصصة في حقبة زمنية محددة أو تناولت موضوعاً محدداً وواضحاً تعد أهم من تلك التي كتبت بشكل عام فالنص المأخوذ عن أحد وزراء العهد الملكي في العراق من كتاب «تاريخ الوزارات العراقية» هو أعلى قيمة من الناحية العلمية من نص آخر أخذ من كتاب في تاريخ العراق بشكل عام.

ثانياً: مصادر التاريخ الإسلامي وأنواعها

زخرت الحركة الفكرية في العصور الإسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتباً في مختلف فروع الكتابة التاريخية، ولعل من المفيد أن نشير إلى أنه من الصعب أن نجد أمة من الأمم عاصرت المسلمين وكانت أكثر منهم اهتماماً أو انتاجاً في التدوين التاريخي، وقد تنبه على هذه الحقيقة بعض المؤرخين المسلمين المتأخرين، فألفوا في هذا الخصوص، ومن أشهرهم المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي صاحب كتاب «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» الذي حوى بين دفتيه عناوين مؤلفات العرب والمسلمين في التاريخ حتى عصره، قال فيه ان «كتب التواريخ أكثر من أن تحصى». ومن ينظر في هذا الكتاب وغيره سيدهش من كثرة تنوع الموضوعات التي ألف فيها المؤرخون المسلمون، إذ لم يغفلوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني أو الأحداث الطبيعية إلا وأرخوا له، ومهما كانت بعض جوانب ذلك النشاط عند بعضهم ثانوية وغير ذات بال، لكن القارئ يشعر بمدى الثراء الفكري عند مؤرخي تلك العصور، والواقع ان الكتابة التاريخية شهدت تطوراً تدريجياً بتتابع الحقب التي مرت بها، وهذا التطور جاء نتيجة لهذا الاهتمام، فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى. ان حديثنا عن مصادر التاريخ الإسلامي سينصب على التعريف بها وبما يمكن أن تقدمه للباحثين من معلومات وكيفية الاستفادة منها.

١ـ التاريخ العام:

صنف المؤرخون المسلمون كتباً تميز أغلبها من الضخامة أطلق عليها من قبل بعض الباحثين مصطلح «كتب التاريخ العام» لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التي يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة وهي في الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التي وقعت قبل البعثة النبوية ترتيباً موضوعياً أو حسب تعاقب الأحداث، أما الحقبة الإسلامية فقد اعتمد في تنظيمها حسب تعاقب السنين، وتعرف عند بعض الباحثين بالحوليات، وهي تسمية قد لا تصح على المادة التي حواها الكتاب عن أحداث الحقبة قبل الإسلام، ولهذا فان التسمية الأصح هي الأولى، وذلك لأن مصطلح التاريخ العام– ينسجم وطبيعة المادة التي تضمنتها تلك الكتب وتنوعها إذ تشمل الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية وغرائب الأحداث ولكن بنسب متفاوتة من حيث حجم المادة المقدمة، فضلاً عن ذكر الوفيات لمشاهير الأشخاص وأغلبهم من الرجال.

هذا و قد ظهر النظام الحولي في تنظيم المادة التاريخية في أواخر القرن الثاني للهجرة على يد الهيثم بن عدي(ت٢٠٧هـ) وذلك بكتابه المفقود «التاريخ على السنين» ثم توالت المؤلفات على وفق هذا النظام ويعد «تاريخ الرسل والملوك» لمحمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) أول أضخم كتاب يصل الينا عن المؤرخين المسلمين في التاريخ العام، غير أن هناك الكثير ممن سبقوه في اتباع هذا المنهج، ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي(ت٥٧٩هـ) وابن الأثير(ت٦٣٠هـ). أما فائدة هذا النوع من المؤلفات لباحث التاريخ فتتأتى من كونها تضم مجموعة كبيرة من الوثائق مثل الرسائل والمعاهدات والعهود بين الدول والحكام ولتميزها من غنى المادة التاريخية عن الأحداث، ولكن يجب الإشارة هنا أن ما صنفه المؤرخون المتأخرون في هذا النوع لا يعتمد مصدراً أولياً عن الأحداث التي وقعت في القرون الإسلامية الأولى والمعول هنا بشكل أساس على ما كتبه المؤرخ من أخبار عن أحداث عصره.

أما كيفية اعتماد الباحث على هذا النوع، فذلك يتحدد ابتداءً من موضوع البحث، فإذا كان البحث يتناول أحداث حقبة زمنية معينة يستطيع الباحث الرجوع إلى هذه الكتب التي توفي مؤلفوها بعد تلك الحقبة وما دامت مرتبة حسب السنين سهل عليه أمر الوصول إلى ضالته، وعليه هنا أن يتابع ما كتبه المؤرخ عن موضوعه في كل سنة لأن بعض هذه الكتب تجزئ الحادثة فتذكر ما وقع منها في كل سنة من السنوات التي قطعتها. أما إذا كان موضوع البحث يدور على شخصية تاريخية، فلا يكتف بالرجوع إلى ما تذكره هذه الكتب في سنة وفاته، فقد تذكره في الأحداث التي اشترك فيها في حياته لا سيما بالنسبة للشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية، فعلى الباحث هنا أن يعود لما كتبته هذه المؤلفات عن أحداث السنوات التي كتب عنها.

٢- كتب التراجم:

التراجم جمع ترجمة وهي سيرة مختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده وهذه السير تجمع في كتاب واحدٍ قد يقع في عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحاً «تراجم» ولكن ذلك الكتاب قد يكون في الطبقات أو الوفيات أو حسب القرون أو معاجم شيوخ أو في الأنساب وهذه وغيرها هي من أنواع كتب التراجم، ويعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامي ذا أهمية بالغة عند الباحثين وذلك لأن معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين كانت على شكل تراجم فضلاً عن ذلك تميزت هذه الكتب من الثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، وتأتي مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التي وضعها علماء الحديث ولا سيما اتباع مؤلفيها لمبدأ «الجرح والتعديل» في أغلب الأحيان ومنها المؤلفات التي تناولت تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين. وسنذكر أدناه أهم كتب التراجم:

* كتب الرجال المحلية: ومن أشهر هذه الكتب «تاريخ واسط» لاسلم بن سهل المعروف ببحشل (ت٢٩٢هـ) و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) و(تاريخ دمشق) لابن عساكر(٥٧١هـ)، وهذه المؤلفات هي من أهم كتب التراجم، إلاّ أنها تحوي أيضا معلوماتٍ مهمة عن المدينة نفسها فتاريخ بغداد مثلاً يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات عن خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها. والصفة الغالبة على تراجم هذا

النوع من المؤلفات هو أن معظم شخصيات التراجم من رجال الحديث فمن مجموع ٧٨٣١ ترجمة ضمها كتاب «تاريخ بغداد» هناك خمسة آلاف ترجمة لرجال الحديث. وعلى الرغم من أن هذا النوع من المؤلفات يعد من كتب «الرجال» ألا أن الباحث يجد فيها عدداً من تراجم النساء فقد ذكرت ٣٢ ترجمة لشخصيات نسائية في «تاريخ بغداد» مثلاً. وهكذا فان كتب التراجم تضم بين دفتيها أيضا تراجم من هذا النوع.

إن كتب التراجم المحلية غالباً ما تتبع الترتيب الهجائي في تنظيم تراجم الكتاب، وهي تزود الباحث بمادة أولية عن الشخصيات التي عاصرها المؤلف زماناً ومكانا، وعلى هذا الأساس فانها مصادر أولية من هذه الناحية ومن ناحية الكتابة عن شخصيات قريبة العهد زماناً بالمؤلف، ولو نظرنا فيما تقدمه من معلومات لوجدنا أن أغلبها نقلت عن مصادر أخرى فثلاثة أرباع المادة التي حواها «تاريخ بغداد» كانت منقولة من مصادر وليست مشاهدات لمؤلفه.

إن المعلومات التي ينقلها المؤلف من مصادر أصبحت مفقودة حالياً تعد ذات قيمة عالية للباحث، كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا النوع من الكتب يشتمل تراجم لأشخاص من غير أهل المدينة لأنهم يترجمون لمن زار المدينة أو نسب إليها أو ولد فيها ثم رحل عنها أو استقر بها لمدة، وبما أن الرحلة من أجل طلب العلم كانت شائعة بين علماء تلك العصور، لذا من المتوقع أن نجد في هذا النوع من الكتب تراجم لشخصيات تنتمي في أصولها إلى أقاليم ومدن مختلفة.

* كتب الطبقات: ظهرت كتب الطبقات منذ بداية القرن الثالث الهجري على أيدي بعض كبار المؤلفين مثل الهيثم بن عدي(ت٢٠٧هـ) وابن سعد(ت٢٣٠هـ) وخليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ) أيضاً ومصطلح الطبقة يعني مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى حقبة زمنية واحدة ويشتركون في صفة معينة، وألفت هذه الكتب في أول أمرها لخدمة علم الحديث النبوي الشريف ولكنها تطورت فيما بعد وتعددت أنواعها فظهرت كتب في طبقات الأطباء والأدباء والفقهاء والشعراء والمغنين ...الخ.

وهذه الكتب وإن كانت تسمى كتب الطبقات فان التقسيم الثانوي لها مختلف من كتاب إلى آخر فهناك من رتب تراجم كتابه حسب المدن كمحمد بن سعد في طبقاته الكبرى التي تعد أقدم كتاب كبير يصلنا في هذا النوع من الكتب، أما خليفة بن خياط فقد رتب طبقاته حسب أنسابهم آخذاً بنظر الاعتبار الترتيب بالإستناد إلى طبقاتهم داخل النسب الواحد. وتتميز كتب الطبقات ذات الصفة الدينية من الثقة والمصداقية لاتباع مؤلفيها قاعدة «الجرح والتعديل»، مما يعطي الباحث الفرصة للاعتماد عليها، أما كيفية معرفة الكتاب الذي يتوقع الباحث أن يحوي نصوصاً تفيده فذلك يعرف من معرفة نسب الشخصية أو موطنها أو مهنتها أو مذهبها أو العلم الذي اشتهرت به، فإذا كان طبيباً مثلاً وتوفي قبل وفاة مؤلف كتاب «طبقات الأطباء» يرجح أن يكتب عنه وإذا كان محدثاً ذهب أولاً إلى طبقات المحدثين غير أن المحدث يشتهر في الغالب بعلوم القرآن والفقه لذا يرجح أن يجد الباحث ترجمة له في طبقات المفسرين للداودي(ت١٢٥٠هـ) أو إحدى كتب الفقهاء التي ترجمت لفقهاء مذهبه شريطة أن يتأكد الباحث أولاً من أن سنة وفاة صاحب المصدر تأتي بعد تاريخ وفاة المراد ترجمته.

إن التخصص لم يكن شائعاً بين علماء العصور الإسلامية، بل يمكن القول أن معظمهم اشتهروا بكونهم «موسوعيين» إذ لم يكتفوا بالتأليف في علم واحد، فقد ترى بعضهم يؤلف في علوم القرآن والحديث

والفقه واللغة والأدب والتاريخ ...الخ، لذا من المتوقع أن يجد الباحث أكثر من ترجمة في أكثر من نوع من كتب الطبقات للشخصية موضوعة البحث. وفضلا عن ذلك فإن كتب الطبقات تضم معلومات مهمة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية وبعض الإشارات المبثوثة بين السطور عن خطط المدن.

* كتب الوفيات: وهذه تشكل نوعاً آخر من كتب التراجم نظمت فيه مادة الكتاب على أساس سنوات وفيات أصحاب التراجم، وبذلك تكون طريقة الوصول للترجمة المطلوبة على أساس تاريخ الوفاة ومن بين هذه المؤلفات المطبوعة كتاب «الوفيات» لابن رافع السلامي(ت٧٧٤هـ) ولكن يجب أن نشير إلى أن بعض الكتب التي اتخذت عناوين مشابهة لم تعتمد هذا النظام، بل رتبت مادتها على أساس آخر مثل «وفيات الأعيان» لابن خلكان(ت٦٨١هـ) وغيره.

* كتب التراجم العامة: وخير من يمثل هذا النوع من المصنفات كتاب ابن خلكان المذكور آنفاً وعنوانه الكامل «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ويعد من أفضل كتب التراجم، لما حواه من مادة تفصيلية ومهمة رتبه على أساس حروف المعجم، ولم يقصره على فئة واحدة من الأشخاص، بل ترجم لجميع الأعيان «المشاهير» ومن مختلف الاتجاهات والاختصاصات، وفيه تراجم للعديد من النساء، والكتاب يعد في غاية الأهمية للباحث في سير الأشخاص المعاصرين لمؤلفه، وقد أكمل ابن شاكر الكتبي(ت٧٦٤هـ) نواقص هذا الكتاب وما فات مؤلفه بكتابه «فوات الوفيات».

إن كتاب ابن خلكان لا يمكن أن يقاس بكتاب ابن شاكر الكتبي، فالفرق بين الكتابين شاسع ولا سيما في ما قدمه ابن خلكان من معلومات مسهبة ودقيقة عن أغلب تراجم الكتاب. وهذا يعني أن أهمية كتب التراجم تتفاوت من كتاب إلى آخر على وفق طبيعة المادة المدونة فيها.

* معاجم الشيوخ: اهتم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخهم الذين تتلمذوا عليهم في كتاب، وسميت بعناوين عدة مثل «معجم الشيوخ»، «فهرست الشيوخ»، «برنامج ومشيخة» ... الخ. وفي الأعم الأغلب رتبت تراجم هذه الكتب على أساس حروف أسماء أصحابها أو على أساس بلدانهم والنظام الأول هو الأكثر شيوعاً، ولكن شمس الدين السخاوي قلل من أهمية هذه الكتب لأن جل من ألف فيها لم يترجم للشيوخ بالتفصيل، بل اكتفى بذكر الأسماء، و ذكر قائمة طويلة بأسماء من ألف في هذا الباب، ولا شك في أن المادة التي توفرها بعض الكتب التي فصلت في ذكر أخبار شيوخ مؤلفيها، تعد ذات أهمية خاصة، لدقة معرفة المؤلفين بأحوال شيوخهم الذين جالسوهم وخبروهم عن قرب فلهم ألقدرة على إبداء الرأي وإصدار الحكم، وقد تحوي هذه الكتب تراجم يعدها أصحاب كتب التراجم العامة من غير المهتمين فلا يذكرونهم فيقتصر ذكرهم على معاجم الشيوخ. و هذه المصادر التي تعد مصادر أولية في دراسة الحياة العلمية في العصر الذي تنتمي إليه تفيد في التعرف على أسماء العلماء وذكر أسماء الكتب المدرَسة وإشارات عن المؤسسات التعليمية كالمدارس وطبيعة العلاقات بين العلماء والتلاميذ وطرق التدريس عند الشيوخ، وتعطي هذه المؤلفات معلومات عن مدى النشاط العلمي في المدن الإسلامية، لأن التلاميذ آنذاك كانوا لا يكتفون بالدراسة على شيوخ بلدهم، بل يرحلون إلى مدن عديدة، من أجل طلب العلم على أيدي مشاهير العلماء. ومن الكتب التي وصلت الينا في هذا الباب «برنامج الوادي اشي» وهو معجم شيوخ وضعه محمد بن جابر الوادي اشي التونسي(ت٧٤٩هـ).

* كتب السيرة المفردة: ظهرت كتب السيرة منذ البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي

عند المسلمين، بل أن اهتمام المسلمين بالكتابة التاريخية جاء منصباً أول الأمر على تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم ، ولكن في القرون الآتية ظهرت الكتب التي اهتم مؤلفوها بتدوين سيرة أحد الرجال وقد كثرت هذه المؤلفات في العصور الإسلامية المتأخرة، مثل كتاب «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لابن شداد(ت٦٣٢هـ) وكتاب «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» للنسوي(ت٦٣٩هـ) أو «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر يبرس» لابن عبد الظاهر(ت٦٩٢هـ) أو كتاب «الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر» لابن ايبك الدوادار(ت٧٣٢هـ) أو «عجائب المقدور في أخبار تيمور» لابن عربشاه(ت٨٥٤هـ) أو «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر» لبدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ) و«تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور» للمؤلف نفسه، وكتب أخرى عديدة مشابهة، وهذه الكتب منشورة حالياً و تقدم مادة تفصيلية ودقيقة عن الشخص المترجم له، ولكن بعضها يجب الاعتماد عليه بحذر لأن بعض المؤلفين ألفوها هدية للشخص المترجم فلا غرابة حين نجد بعضها مشحوناً بآيات المديح وذكر الحسنات ومهاجمة خصوم المترجم له، كما أن بعضها كما يبدو من العنوان أوقف لذكر الإيجابيات، إذن المادة المتوافرة عن شخصيات هذه المؤلفات هي مادة أولية كتبت أما مشاهدة أو سماعاً عن أناس شاهدوا الأحداث لذا تعد مصادر أصلية.

كتب التراجم المرتبة على أساس القرون: نظم بعض مؤلفي كتب التراجم مادة الكتاب على أساس القرن الذي توفي فيه أصحاب تراجمه، ومثال ذلك ما فعله ابن حجر العسقلاني المصري(ت٨٥٢هـ) وشمس الدين السخاوي، فقد ألف الأول كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» وصنف الثاني كتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» وتكمن أهمية هذه الكتب في توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة في هذا الصنف ولا سيما الكتابين المذكورين قد تميّزا من الدقة والشمولية والتفصيل، وتعد هذه الكتب من المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زماناً ومكاناً في أغلب الأحيان، ككتاب السخاوي المذكور الذي خصصه لتراجم أشخاص عاصرهم أو كان قريباً من عهدهم، وفي كثير من الأحيان شاهدهم واحتك بهم، ويعد كتابه من أكثر كتب التراجم ذات الطابع النقدي المميز، هذا و إن سرعة وصول الباحث إلى الترجمة المطلوبة تكمن في معرفة سنة وفاة الشخص المطلوبة عنه المعلومات، فإذا كانت ضمن القرن المقصود وجد ضالته.

* كتب السيرة الذاتية والمذكرات: ألف العديد من المؤلفين القدامى منهم والمحدثين كتباً في سيرهم الشخصية أو سير أسرهم وقد اصطلح على تلك المؤلفات اسم «السيرة الذاتية» وظهرت هذه الكتب منذ العصور الإسلامية الأولى غير أن معظمها في عداد المفقودات. وفي زماننا ألف العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والأدبية والعلمية كتباً من هذا النوع تحت عناوين مختلفة مثل «يوميات»، «مذكرات»، «ذكريات»، سيرتي»، «حياتي في نصف قرن» وهكذا، والجدير بالذكر هنا أن هذه المؤلفات تعد مصادر أولية، غير أن أهميتها بوصفها مصدراً أولياً تتفاوت بين كتاب وآخر، فالمذكرات قد تكتب يومياً أو إسبوعياً فهي معلومات مكتوبة عن قرب من الناحية الزمانية والمكانية، أما الذكريات فهي معلومات كتبها مؤلفها عن أحداث بطريقة التذكر أو استرجاع المعلومات وهي ذكريات قد تتعرض للنسيان كما و أن

المذكرات والذكريات واليوميات تختلف في بعض جوانبها عن كتب السيرة الشخصية من حيث المضمون على اعتبار أن الأخيرة تهتم بأكملها بأخبار كاتبها، أما الأولى فإنها تشمل معلومات عن أحداث عاصرها وقسم من تلك المعلومات تخص كاتبها.

إن كتب السيرة الذاتية لا يمكن اعتماد المعلومات المقدمة فيها عن أخبار مؤلفها إلاّ بعد نقد وتدقيق، لأننا لا نتوقع أن يكتب المؤلف إلاّ إنجازاته ويحرص على إغفال ما يسيء له. لذا فمن الناحية المنهجية لا يمكن الأخذ بجميع المعلومات المذكورة فيها، بل تعتمد بعض المعلومات التي لا تخص حياة المؤلف بشكل مباشر.

٣- تاريخ الدول:

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتباً قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التي عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب «التاجي في تاريخ الدولة البويهية» لأبي إسحاق الصابي(ت٣٨٤هـ) ثم توالت الكتب الأخرى في القرون التالية مثل كتاب «الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية» لابن الاثير الجزري(ت٦٣٠هـ) وكتاب «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» لابي شامة(ت٦٦٥هـ) وكتاب «مفرج الكروب في أخبار بني ايوب» لابن واصل(ت٦٩٧هـ) وكتاب «التحفة الملوكية في الدولة التركية» لبيبرس الدواداري(ت٧٢٥هـ) وكتاب «درة الأسلاك في دولة الأتراك» لابن حبيب(ت٧٧٩هـ) وكتاب «الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية» لابن ايبك الدواداري.

إن هذه الكتب الموجودة حالياً إما مطبوعة أو مخطوطة تقدم مادة تفصيلية عن أخبار الدولة التي أرخت لها ورجالاتها وهي قطعاً أوسع من المادة التي تقدمها لنا كتب التاريخ العام أو كتب التراجم عن أخبار تلك الدول، ولكن الذي يجب الانتباه عليه من قبل الباحثين هو أن بعض هذه الكتب لا يمكن الاعتماد على بعض الاخبار المذكورة فيها إلاّ بعد نظر وتدقيق، فكتاب «التاجي» مثلاً وضعه مؤلفه تحت التهديد ويقال وهو في السجن إذ مر بالصابي أحدهم وهو يكتب ذلك الكتاب فسأله عما يفعل فقال له «أكاذيب أنمقها وأباطيل ألفقها»، فما كان من ذلك الشخص إلاّ أن وشى بذلك إلى الأمير البويهي تاج الملة الذي أمر الصابي بتأليفه فأراد قتله لولا تدخل بعض الأعيان لإنقاذه، فكتاب من هذا النوع لا يمكن أن يعتد به، وكذا الحال لكتاب «الباهر» لابن الأثير الذي عاش هو وعائلته تحت رعاية الدولة الزنكية التي خصص لها هذا الكتاب لذا «يمكن القول أن قيمته العلمية لا يمكن أن ترقى إلى قيمة كتابه العظيم الكامل ...»، وذلك على الرغم من أن المادة الموجودة عن أخبار تلك الدولة في الكتاب الأول أوسع بكثير عما موجود منها في الكتاب الثاني.

و بهذا النوع من الكتب يتوقع الباحث أن يقف فيها المؤلف إلى جانب رجال تلك الدولة ضد أعدائها كما حدث عندما وقف ابن الأثير ضد صلاح الدين الأيوبي وهو يؤرخ لحالة الصراع بينه وبين الدولة الزنكية، ولكن في الوقت نفسه تقدم هذه الكتب مادة تتصف بالدقة والتفصيل لأن معظم المؤلفين في هذا الباب هم من المطلعين على الأحداث إما مشاركة أو مشاهدة لها، لذا فان الحديث عن ضعف القيمة العلمية يقف عند حدود الموقف من أعداء الدولة، لأنها تزود الباحث بالإضافة إلى ذلك بأخبار نشاط تلك الدول على الصعيد الإداري والعمراني والثقافي وعلاقاتها الخارجية.

يتبع في العدد القادم إن شاء الله



هل حاول ابن تيمية والسبكي وابن خلدون إنقاذ دولة المماليك

كتابة : عبد الله الطحاوي

رفضوا مساجدهم «الحرام» وقوانينهم الوضعية وقدموا رُؤى للإصلاح.. هل حاول ابن تيمية والسبكي وابن خلدون إنقاذ دولة المماليك؟ «أما سؤالكم عن الزمان فإن الزمان هو الناس»؛ بتلك العبارة كتب الأديب عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ/٧٦٠م) رسالته في الإصلاح السياسي إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٦٧٦م)، متحدثا عن أربعة أزمنة حضارية لن يخرج عنها مسار الدولة الإسلامية: الزمن الأول -وهو الأفضل- «ما اجتمع فيه صلاح الراعي والرعية»، ويليه في الأفضلية الزمن الثاني وهو «أن يصلح الإمام نفسه ويفسد الناس»، وبعدهما الزمان الثالث الذي يتميز بـ«صلاح الناس وفساد الوالي»، أما الزمان الرابع فإنه «شرُّ الزمان [وهو] ما اجتمع فيه فساد الوالي والرعية» معا. ويبدو أن عددا من الفقهاء -خصوصا في العصور المتأخرة- انشغلوا بتقديم أفكار إصلاحية تقوم بالأمرين: إصلاح الراعي والرعية. وعبر استقراء لثلاثة كتب تمثل ركائز إصلاحية «للزمن الرابع» وظهر أصحابها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي؛ سنقدم هنا بعض طرائق الإصلاح السياسي والمجتمعي التي حاول مقترحوها الاضطلاع بمهمة «إصلاح الراعي والرعية».

ومما يجمع المؤلفين الثلاثة بلوغهم رتبة الإمامة في العلم الشرعي، وأن كلا منهم انشغل بتلمس مشاكل المجتمع دون أن يهمل العناية بدواليب السلطة (الإفتاء والحسبة والقضاء والوزارة..



إلخ)، واكتوى بمحنة السجن حين اتُّهم بالمس من مصالح السلطة. كما يشتركون في أنهم كتبوا رؤاهم الإصلاحية هذه وهم في الأربعينيات من أعمارهم!

ثم إنهم ينتمون إلى مجال جغرافي واسع يمثل قلب العالم الإسلامية: الشام ومصر والغرب الإسلامي، ويمثلون المذاهب الفقهية الكبرى السائدة آنذاك في هذا الفضاء الجغرافي:

الحنابلة والشافعية والمالكية، وإن تباينت اختياراتهم المنهجية في الاعتقاد والسلوك بين مذاهب أهل الحديث والأشاعرة والمتصوفة، كما تعددت مناهجهم في تصور الإصلاح المنشود بين منهج نظري اتبعه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، وآخر عملي انتهجه تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، وثالث وصفي تأملي حضاري قدمه الفقيه القاضي والمؤرخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)!

إن هذه المشروعات الإصلاحية الثلاثة جمعت

بينها ظروف معقدة جدا صاحبت العصر المملوكي الذي عانى من اضطراب شديد، وانقسام واسع لدولة الخلافة الجامعة، وحروب طاحنة شهدت أكثر من مئة حملة عسكرية كبيرة وصغيرة، قاتل فيها مئات آلاف المحاربين، وعرفت نزاعات فرقية شديدة، وشيوع أفكار عدّها الفقهاء كاسرة للعقيدة القويمة.

والحقيقة أن دولة المماليك -التي امتدت من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٨م- خرجت من رحم انتصارات تاريخية لتحكم سلطنات عظيمة بمصر والشام والحجاز، وكل ما تملكه من مؤهلات هو البسالة العسكرية وقوة البأس، مستغلة حالة التراجع الاجتماعي الشديد؛ فكيف تصرف العلماء مع هذا التحدي؟ وكيف فكرت النخبة العلمائية في ذلك العصر؟ وما هي المناهج النظرية والعلمية التي طرحتها لتوظيف القوة المملوكية الصاعدة في الدفع باتجاه تحقيق الإصلاح الشامل؟

مقاربة تيمية

عرف السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) بكونه أحد رواد الإصلاح المؤسسي في العصر المملوكي، وفي عهده ظهر الكثير من الدواوين والمؤسسات التعليمية والصحية. وينبهنا ابن كثير (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) -في كتابه 'البداية والنهاية'- إلى أن عالما مجتهدا كبيرا ساهم في دفع قلاوون باتجاه الإصلاح وتبني بعض المواقف الأخلاقية في عصره، ويضرب مثالا على ذلك بإبطاله شراء المناصب بالرشوة (كانوا يسمونه 'البرطلة') و«كان سبب ذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية».

ويُعتقد أن ابن تيمية كتب رسالة إصلاحية مهمة لهذا السلطان لعلها كتابه المعنون بـ'السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية'، لما رأى أن الأوضاع في زمنه تندرج ضمن «الزمن الرابع» لدى ابن المقفع؛ فقد حاول هذا الفقيه أن يقوم بالدورين: إصلاح السلطة وتنوير المجتمع، فكتب باختصار عن فكرة وصفها بأنها «لا يستغني عنها الراعي والرعية»، معللا ذلك بأنه «لما تغير الإمام والرعية كان الواجب على كل إنسان أن يفعل من الواجب ما يقدر عليه».

إن فكرة هذا الكتاب ذكية جدا وتذكّرنا على نحو ما بمساهمة الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٩م) في المشروع الإصلاحي للدولة السلجوقية؛ فهي تنظر لكيفية تقنين وضع القوة والشجاعة المتمثلة في الطبقة الحاكمة الجديدة (المماليك)، وفي نفس الوقت يتم توجيهها نحو الإصلاح. وتحقيق الأمرين معناه القبول بالواقع المملوكي وأصحابه ذوي الأمجاد العسكرية، طالما أن هذا الواقع سيعمل على إصلاح نفسه وإصلاح المجتمع، وسيرضى بأن يكون العلماء شركاء في السلطة ما دام «أولو الأمر صنفان: الأمراء والعلماء».

ومن هنا نفهم سر التسمية «إصلاح الراعي والرعية» التي هي إعادة صياغة واضحة لعبارة ابن المقفع «صلاح الراعي والرعية»، فمن الخطورة الشديدة -وفقا لرؤية ابن تيمية- ترك تلك القوة الكبيرة تتفلت من قواعد الدين لأنه «إن انفرد السلطان عن الدين أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس».

مبدئيا يدرك ابن تيمية أنه لا مجال للحديث في هذا الكتاب عن شرعية قرشية، أو حتى عن شرط الحرية المعتاد تأكيده في الفقه السياسي الإسلامي، كما أن الظرف لا يسمح بمناقشة مشروعية المماليك بإعادة ما فعله العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، حينما أشرف على بيع أمرائهم غير مؤهلين شرعا للحكم لكونهم «مماليك» واقعين في الاسترقاق!

فقد تخطت الظروف ذلك الموقف لأن المماليك صاروا يحكمون بشرعية انتصار «عين جالوت» العظيم عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م الذي كسر مدَّ التتار الجارف، والخليفة القرشي العباسي –الذي تُشَرْعَنُ به ممارسات السلاطين- موجود في القاهرة، وهو نفسه يصف السلطان المملوكي بـ«السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين»!!

تصور شامل

يتحدث كتاب 'إصلاح الراعي والرعية' عن أهمية التدبير الأمثل لشؤون الولايات ومؤسسات السلطة العامة، وأهمها: السلطان ونائبه (مؤسسة الرئاسة)، وإمارة الجند (مؤسسة الجيش)، والقضاء والحسبة (السلطة القضائية)، وولاية الأموال (وزارة المالية). وإذا كانت السلطة العليا نالت استثناء بحكم الأمر الواقع، فإنه يمكن قبول ذلك بشرط تبني معايير جديدة في الولايات الأقل شأنا.

ومن هنا تحدث ابن تيمية في كتابه عن نحو تسع ولايات كبرى تخص كيان الدولة، وتقريبا ١٧ من ولايات المجتمع، وأوجب على السلطان البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار: من الأمراء، والقضاة، ومن أمراء الأجناد ومقدمي العساكر، وولاة الأموال: من الوزراء، والكتّاب (= المحاسبون)، والشادّين (= المفتشون)، وسُعَاة (= جُباة) الخراج والصدقات.

كما طالب هذا الإمام بأن توَّسد أمور الولايات بعيدا عن الولاء الرحمي مثل القرابة أو «ولاء العتاقة» ويقصد به المماليك، وكذلك تجاوز الولاء القُطري والمذهبي والطُرُقي الصوفي، وكذلك الانحياز العرقي «فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه (= مملوكه سابقا) قد يؤثره في بعض الولايات، أو يعطيه ما لا يستحقه؛ فيكون قد خان أمانته». بنى ابن تيمية كتابه هذا على آيتين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى: (إنّ الله يأمرُكم أن تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها) وهي تخص الراعي (الحاكم)، وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول وأولي الأمرِ منكم)، وهي تخص الرعية (الشعب). وحاول -بتنظير اتّسم بالواقعية الشديدة- أن يفض نزاعا كبيرا بين قيمتيْ «القوة» و«الأمانة» عبر هاتين الآيتين.

لقد كان يدرك أن اللحظة المثالية هي تلك التي تسيّر فيها الدولة بالحاكم «القوي الأمين»، ولكن «اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل»، وهو إشكال يمس المشروعية السياسية داخل العصر المملوكي بالذات. فالكثير من المماليك حديث عهد بإسلام، وبعضهم مطعون فيه أخلاقيا؛ فهم قد «جمعوا بين الحق والباطل، وضموا الجيد إلى الرديء»، كما يصفهم تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). وقد جيء بهم رقيقا من أصقاع الأرض، فأقاموا دولتهم بالسيوف والرماح، وأهم ما كانوا يستندون إليه هو قوتهم وبأسهم.

مرونة تطبيقية

كان السؤال المطروح أمامه هو: أين يمكن توظيف كل قيمة في موضعها؟ فقرر أنه في ولاية الحرب وقيادة الجيوش إذا حدث تعارض بين القوي الفاجر والأمين الضعيف، فإنه يقدم «الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور»، لكن الأمر مختلف في ولايات الأموال فـ«إذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد قُدِّم الأمين». وفي ولاية القضاء -وهي ولاية بينية- تحرّج ابن تيمية من أن يطبّق عليها معيار القوة، فقال إنه «يقدَّم الأكفأ إن كان القضاء يحتاج إلى قوة وإعانة للقاضي أكثر من حاجته إلى مزيد العلم والورع».

والحقيقة أن ابن تيمية يفتح الباب أمام المرونة في تطبيق تلك القيم، حيث يقول «يجب.. السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوها». كما يطرح حلا إصلاحيا خلّاقا بدعوته إلى تعويض نقص القيم في الأفراد باستكمالها في المؤسسات، فإذا لم يوجد الفرد «القوي الأمين» فإنه يمكن توظيف شخصيات كل منها يجمع جانبا من هاتين القيمتين لتتحققا بـ«تعدد المُوَلّى إذا لم تقع الكفاية بواحد تامّ».

اللافت للانتباه أن ابن تيمية كان يحاول -بذكائه المعهود- توريط مؤسسة القوة بتحميلها القيام مباشرة بالواجبات الدينية لـ«إصلاح دين الخَلْق»؛ حيث ألزم مؤسسة الجيش المملوكية -وهي مؤسسة الحكم الفعلية- بأن ترعى فريضتيْ «الصلاة والجهاد»، لأنه «كانت السنة أن الذي يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة ويخطب بهم:

هم أمراء الحرب».

ثم بين الإمام أن رعاية الصلاة تقود إلى أمرين: صيانة ثاني أركان الدين، وفي نفس الوقت تجسيد قيمة خُلقية قد يقود التحلي بها إلى إصلاح المؤسسة نفسها «إذا أقام المتولي عمادَ الدين؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي التي تعين الناس على ما سواها من الطاعات».

وبالتالي؛ فإن ابن تيمية -في خطته النظرية لإصلاح الدولة المملوكية والمجتمع الذي كانت تحكمه- كان يتحرك ضمن شرط الواقع، ليس بهدف الوقوع فيه بل للنهوض به؛ فهو يقبل به لكي يمارس ضغطا عليه يتجه به نحو الإصلاح. وقد لاحظ الشيخ محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) أن هذا النهج من التفكير في رعاية المصالح الشرعية كان سمة لذلك العصر، سواء أكان عند ابن تيمية أو في رؤية معاصره نجم الدين الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦هـ/١٣١٦م) المتعلقة بتوسيع حجية المصلحة في التشريع الإسلامي.

برنامج عملي

ألّف ابن تيمية الشامي كتابه عن إصلاح الراعي والرعية في القاهرة، بينما صنّف تاج الدين السبكي المصري كتابه 'معيد النعم ومبيد النقم' في دمشق؛ والأخير هو الكتاب الثاني الذي يمثل الحلقة الأبرز ضمن حلقات المشروع الفقهي لإصلاح الدولة والمجتمع في العصر المملوكي خلال القرن الثامن الهجري.

يختلف 'معيد النعم' عن كتاب ابن تيمية اختلافَ المؤلَّف العملي عن صنوه النظري، وإن كان المؤلَّفان يتحدثان من أرضية مشتركة قوامها استقلالية العلماء عن تأثير الأمراء؛ فكتاب ابن تيمية ألّف على غرار مصنفات السياسة الشرعية التي تتعرض عادة للوظائف السياسية العامة للدولة، ولا تهتم كثيرا بالمجتمع وما يعج به من مرافق ومِهَن، أما كتاب تاج الدين السبكي فهو كتاب تطبيقي يبحث أسباب انحراف الدولة في القطاعين العام والخاص، برصده للعيوب الوظائفية والإنتاجية السائدة فيهما وتقديم رؤى وبرامج لمعالجتها.

وبالتالي فهذا الكتاب درس في السياسة العملية والبرامجية التي تُقدمها في عصرنا اليوم مراكز الخبرة وبيوت الاستشارة لصنّاع القرار. وهو يقدم لنا قراءة عميقة لطبيعة المجتمع المملوكي في مصر والشام والحجاز، عبر رصده لـ١١٣ وظيفة وحرفة هي قوام حياة هذا المجتمع في تلك اللحظة التاريخية، ويمكن تصنيفها ما بين وظائف إدارية، وأخرى علمائية، وثالثة مرتبطة بالحِرَف والصناعات والتجار وأصحاب رؤوس الأموال.

وقد خاطب السبكي في كل ذلك السلطانَ ونائبه ومساعديهما وقادة الجيوش، والعلماء في المساجد والمتصوفة في الزوايا، وصولا إلى أصحاب المهن المختلفة وحتى الشحاذين في الطرقات. وبالتالي؛ فالكتاب مصدر غني بالمعطيات التي تخدم أعمال المؤرخين والباحثين الاجتماعيين، وكل المعنيين بنظام الدولة والمجتمع حينها، وبكيفية عمل الوظائف القيادية والإدارية في الدولة ونظيرتها الخدمية في المجتمع. ومن المهم أن نلحظ أن الكتاب يندرج ضمن مجال السياسة الشرعية التطبيقية، وهو مجال لا يتلفت إليه الباحثون كثيرا.

استخدم المؤلف مفهوما شرعيا تزكويا وهو خُلُق «الشكر» ليكون خيطا ناظما لملامح منهجه في الإصلاح السياسي والمجتمعي والاقتصادي، رغم أن الكتابة عن «الشكر» مشهورة في كتب الرقائق والتصوف. وما كتبه السبكي عن الشكر في المدخل النظري للكتاب -وفي الخاتمة عن منحة المحنة- مقتبس من كتاب 'إحياء علوم الدين' للغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) الذي تأثر هو أيضا بنفس المعالجة للشكر التي قدمها أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ/٩٩٧م)؛ حسب ابن تيمية. والجديد في معالجة السبكي لشكر الله هو أنه جعله مدخلا للحديث عن ترميم الواقع.

تزكوي وسياسي

واللافت أن هذا الانزياح الدلالي في حركة المفاهيم -الذي أجراه السبكي في توظيف مفهوم «الشكر» التزكوي في الحقل السياسي والمجتمعي- كان سمة لذلك العصر. فظهور مصطلح «نائب الفاعل» في الدراسات النحوية -على يد الإمام النحوي ابن مالك الجياني (ت ٦٧٢هـ/١٢٧١م)- كان انزياحا دلاليا آخر، قادما هذه المرة من حقل السياسة ليواكب فيما يبدو تضخم سلطات «نائب السلطان». وكذلك مصطلح «السلطان المختصر» الذي أطلِق على «نائب السلطان» ذي الصلاحيات الواسعة، واستقاه معجم اللغة السياسية حينها من حقل التأليف العلمي وخاصة الفقهي. وهذا الاتساع في صلاحيات «نائب السلطان» هو الذي جعل السبكي - وكذلك ابن تيمية- يفرد له الكثير من التفصيلات في الحديث عن الولايات والصلاحيات، لا سيما إذا عرفنا أن الكثير من السلاطين تولوا الحكم وهم دون سن البلوغ فكان نوابهم هم المتصرفين، وقد شجعهم السبكي على ذلك ليكونوا في المكان الذي يدير منه السلطان الحكم فيباشروا شؤون الرعية. افتتح السبكي كتابه بـ «سؤال» وجهه إليه سائل يطلب منه –وهو الفقيه القاضي- إخباره عن «طريق لمن سُلب نعمة دينية أو دنيوية إذا سلكها عادت إليه ورُدّت عليه»؛ فأجابه بأن عليه ثلاثة أمور: أن يعرف السبب الحقيقي الذي أدى إلى ذهاب النعمة؛ وأن يتوب من الذنب الذي تسبب له في فقدان نعمته؛ ثم أن يعترف بما في محنة فقدانه النعِمة من فوائد ليرضى. لم تقنع هذه الإجابة السائلَ فطلب من السبكي «شرحا مُبِينا مختصرا»، فرأى أن يضع كتابا في جوابه مقتصرا فيه على «النعم الدنيوية إذ كانت محط غرض السائل». لكن السبكي قرر أن ينقل السؤال من حالة الفرد إلى وضعية الدولة والمجتمع، فوسّع من دلالة السؤال عن كيفية استعادة الفرد المصالح الضائعة عليه، إلى كيف تعود الأمة -بكافة نُظُمها- وحكامها إلى النعم والتمكينات التي فقدتها بسبب الانحرافات السلطوية والاجتماعية؟

وقد استخدم السبكي فكرة «الشكر» هنا للقيام بعدة أمور، في مقدمتها أن تصبح ممارسة الوظيفة والمهنة على الوجه الأمثل دينا يُتقرب به إلى الله، باعتبارها شكرا لنعمه على صاحب الوظيفة أو الصنعة، وهذا يرفع من مستوى الاحتراف والإنتاجية بإتقان العمل. وقد كان من دأب ذلك العصر أن الصناعات يتم تلقيها بالسند عن معلميها مثلها في ذلك مثل العلوم الشرعية.

مدخل صوفي

لماذا اختار السبكي «الشكر» وليس «الحمد»؟ الجواب أن الحمد -في أقوى تعريفاته- سلوك قلبي، لا بد من أن يكون هو حال الإنسان سواء كان الفرد في نعمة أم في ابتلاء، أما الشكر فلا يكون إلا عند حضور النعمة. والشكر وصفه القرآن بالعمل (اعْملوا آلَ داودَ شُكراً)، وهو رد الفعل اللازم تجاه أي مِنة أو هِبة مست الإنسان، وبالتالي فهو فكرة معيارية يمكن أن تحس وتشاهد. عندما يسأل فرد أو أمة عن سبب ذهاب نعمة دينية أو دنيوية -كوظيفة أو ولاية أو مال أو سيادة وتمكين- يقال له إن السبب هو «إخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها وهو الشكر، فإن كل نعمة لا تشكر جديرة بالزوال».

إن الخلل الذي يعنيه السبكي في فهم دلالة الشكر هنا هو أن ينصرف أي عامل إلى صنع أفعال خيرية تطوعية من صيام وصدقات وحج، بينما يتجاهل مهام وظيفته نفسها، ويعتبر أن فعل ذلك يؤدي إلى أن «تشكر [الوظيفة] على وجه غير الوجه الذي عليه بُنيت». وضرب لذلك مثلا بنعمة البصر والسمع قائلا: «[لو] تصدّقت بدرهمين شكرا لله تعالى على نعمة الأذنين، وهتكتَ كل قبيح سمعته، وأصغيت إلى كل حرام وَعَيته؛ فلستَ من الشاكرين».

ويتحدث الإمام السبكي عن الشكر العملي للسلطان أو الحاكم فيقول: «إذا ولّاك الله تعالى أمرا على الخلق فعليك البحث عن الرعية، والعدل بينهم في القضية، والحكم فيهم بالسويّة، ومجانبة

الهوى والميل»، و«لو أنك تركت الناس هملًا يأكل بعضهم بعضا وجلست في دارك تصلي وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئا على ربك...، فمَلِكك لم يطلب منك أن تتهجد بالليل ولا أن تصوم الدهر، وإنما يطلب منك ما ذكرناه. فإن ضممت إليه أعمالا أخرى صالحة كان ذلك نورا على نور، وإلا فهذا هو شكر نعمة الولاية التي بها تدوم».

والحقيقة أن السبكي يحاول أن يعالج الازدواجية الشديدة التي كانت سائدة في المجتمع المملوكي، حيث كان الحكام يعتقدون أن بناء المساجد، ومدارس العلم، وزوايا التصوف، وإطعام الفقراء، وإقامة أسبلة الماء؛ كفيل بغفران ذنوب سفك الدماء وهدر الأموال وظلم العباد.

إن هدف الشكر عند السبكي هو إيجاد الإنسان المهني الحر الذي يقوم بواجباتِه المثالية، دون أن يقع في عبودية الوظيفة أو يسيطِر عليه بها، بل إنه يمكنه من رفض أي قوة تحاول حرفه عن وظيفته وأهدافها ونظامها المهني وقواعدها المثالية، فالوظيفة ليست عقد عبودية مع الدولة وإنما هي استخلاف من الله.

ويرى السبكي أنه مهما كانت خيارات السلطة التي مكنتك من تلك الوظيفة، فهناك غرض ما وهدف آخر لها وهو أنك مفيد لتلك السلطة في جانب من الجوانب، حيث «يَطلب [مَنْ عيّنك] نفعَ نفسه بنفعك، ويتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى يرجوها لنفسه»، ولذلك فإن السلطان «لو لم يكن له غرض في الإعطاء لما أعطاك». إن هذا طبعا لا ينفي الامتنان للناس، ولكنه يجعله امتنانا يقترن بإدراك أنهم قاموا بإيصال مراد الله إليك، أما الشكر الذي يتضمن «الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع» فإنما يكون لله وحده.

جرأة لافتة

اتسم مؤلف الكتاب بجرأة الطرح والشجاعة في عرض رأيه ونقده السياسي والاجتماعي، وتلك الفضيلة كانت سمة عامة في عصر المماليك الذي انتشرت فيه الكتابات والأشعار الناقدة، والتي من أشهرها القصائد السياسية لشرف الدين البوصيري (ت ٦٩٦هـ/١٢٩٧م) صاحب قصيدة 'البردة' في المديح النبوي، والكتابات الشديدة في مخاطبة الولاة. وهذا الكتاب يعد نموذجا في ذلك من حيث الأسلوب ومستوى النقد الصريح.

ومن ذلك أن السبكي يسجل بوضوح أن من مظاهر جحود نعمة رئاسة المسلمين أن يظن السلطان أن الولاية هي أن يكون الرئيس «آكلا شاربا مستريحا»، وهو إنما تولى أمر المسلمين «لينصر الدين ويُعلي الكلمة»، وكذلك ليست السلطنة أن «يفرق [السلطان] الإقطاعات على مماليك اصطفاها وزينها بأنواع الملابس، والزراكش المحرمة، وافتخر بركوبها بين يديه، وترك الذين ينفعون الإسلام جياعا في بيوتهم». كما حاول أن يهدم عادة ساسانية اشتهر بها عصره وهي تقبيل الأرض تحت السلطان، فذكر أنها أمر «من عظائم الذنوب، ونخشى أن يكون كفرا».

كما انتقد بشدة سلوك البذخ في بناء المساجد الكبرى وهو من ميزات العصر المملوكي، خصوصا تلك التي كانت تشيد بفرض الضرائب ونهب أموال الرعية، فنجده يخاطب الحاكم بقوله: «تريد أن تعمر الجوامع بأموال الرعايا، ليقال: هذا جامع فلان؛ فلا والله لن يتقبله الله تعالى أبدا، وإن الله سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا». وقد تحدث المؤرخ المصري ابن إياس (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م) -في كتابه 'بدائع الزهور'- عن ذلك السلوك، وموقف العلماء من بعض المساجد التي بُنيت بأموال الشعب المغتصبة من أجل التدليس على الناس، وقال إن المصريين «اللطفاء» أطلقوا على مدرسة/مسجد بناه السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) بأموال الضرائب الظالمة اسم «المسجد الحرام». وانتقد السبكي كذلك سلوك نخبة المجتمع التي يحرص أحدهم على الصلاة «شكراً لله تعالى على أن جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الأمر، و[بـ]ترك المظلوم يتخبطه الظلم»، مؤكدا أن «صَلاته وبالٌ عليه»!

والمتمعن في تلك التفاصيل الناقدة يجد أنها ترصد الواقع السياسي الذي كان يعيشه السبكي،

وأنه حاول أن يلخص تلك الإشكالات السلطوية وما صاحبها من ازدواجية في القيم، واعتبر أن كل هذه السلوكيات مضادة لمهام الوظيفة ومعجِّلة بزوال نعمتها عن صاحبها، وإذا استمرأ السلطان هذه السلوكيات ثم «سلبه الله النعمة أخذ يبكي ويقول: ما بال نعمتي زالت وأيامي قصِرت؟! فيقال له: يا أحمق، أما علمت السبب؟! أوَلستَ الجاني على نفسك؟!».

ازدواجية قضائية

وبعد أن شخص الأدوات التي تؤدي إلى زوال السلطة؛ أوضح السبكي أن من معاني شكر الولاية أن يتأكد السلطان أنه «والرعية سواء». ثم شرع في بيان معاني الشكر التي يجب أن يتسم بها السلطان بشكل عملي، وهي «أن ينظر في الإقطاعات [المالية] ويضعها مواضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين»، وكذلك «من وظائفه الفكرة (الاهتمام) في العلماء والفقراء وسائر المستحقين، وتنزيلهم منازلهم». ثم تحدث عن قضية مهمة شهدها هذا العصر الذي عرف عقوبات كثيرة مخالفة للشريعة تحت مصطلح «السياسة» (مثل التسمير والسلخ والخوزقة والتوسيط)، وكان بعض المماليك يتخذونها وسيلة لبسط سيطرتهم الأمنية. واللافت أن السبكي لاحظ أن هناك نقدا لالتزام بعض المسؤولين بالشريعة الإسلامية، حيث توصف عقوباتها باللين أمام نظام الإرهاب الذي اتبعته بعض السلطات المملوكية، وعن هذا يقول: «فإذا رأيت من يعيب على نائب السلطنة انقياده للشرع وينسبه بذلك إلى اللين والرخاوة؛ فاعلم أنه يُخشى عليه أن يكون ممن طبع على قلبه». وتلك الملاحظة التي سجلها السبكي تشير إلى فكرة مهمة، وهي أن المماليك هم أول من أقام قضاء يحكم بالقانون الوضعي (قانون 'الياسة' المغولي) منفصلا عن القضاء الشرعي، فسبقوا بذلك ما فعله الاستعمار الغربي بعدهم بقرون. وكما يقول المقريزي فإن المماليك «فوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية.. وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية..، واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكزخان والاقتداء بحكم 'الياسة'، فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم.. على مقتضى ما في 'الياسة'».

ومن الأفكار المهمة التي وردت في الكتاب نقده للمؤسسة العسكرية المملوكية، وهي مؤسسة الحكم والنخبة السياسية في ذلك العصر؛ فقد حرم السبكي تجنيد الفقير العاجز الذي لا يستطيع أن يدفع البدل، وكذلك انتقد بشدة سياسة تسخير الفلاحين من المجندين في إقطاعيات قادة الجيش لأن «الفلاح حر لا يدَ لآدمي عليه، وهو أمير نفسه». كما رفض فكرة أن يستمر الفلاح في الجيش فوق ثلاث سنوات، واعتبر ذلك من قبائح «الديوان» العسكري محتجا على جعل القوانين العسكرية فوق أحكام الشريعة، فـ«من قبائحهم (العسكر) أنهم إذا اعتمدوا شيئا مما جرت به عوائدهم القبيحة؛ يقولون: هذا شرع الديوان! والديوان لا شرع له، بل الشرع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم. فهذا الكلام ينتهي إلى الكفر؛ وإن لم تنشرح النفس لتكفير قائله فلا أقل من ضربه بالسياط».

مدني وعسكري

ولعل من المدهش حقا في الكتاب تلك الصفحات الطوال التي كتبها لتحليل العلاقات المدنية العسكرية في تلك الفترة، وبتلك الدقة التي تكاد تتماس في الكثير من الأحيان مع إشكالات الجيوش والحياة المدنية في العصر الحديث.

فقد رصد السبكي شعور الازدراء الذي كان يسِم سلوكَ العسكر حينها تجاه النخبة العلمائية والثقافية، والتضييق عليها في الرزق؛ فقال إن «من قبائح كثير من الأمراء (القادة العسكريين) أنهم لا يوقرون أهل العلم، ولا يعرفون لهم حقوقهم». وتحدث أيضا عن مظاهر الفساد المالي الذي اعترى المؤسسة العسكرية في زمنه، فلم يتّصف المنتمون إليها حتى بأخلاق «نبلاء اللصوص»؛ فكان رأيه أن الذهب الذي تطرّز به أزياؤهم ونياشينهم لو وُضع في الخزينة العامة

و«تداوله المسلمون لانتفعوا به، ورخُصت البضائع، وكثرت الأموال». وهذا التلويح بتأميم ثروات العسكر استصحب فيه تفاصيل موقف العز بن عبد السلام حينما رفض فرض ضرائب على الشعب أثناء التحضير لمعركة عين جالوت، وقام بتأميم أموال قادة المماليك من أمثال الظاهر بيبرس وسيف الدين قُطز (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

وفي كلامه عن الوسط العلمي؛ تحدث السبكي عن النعم والنقم التي تسود حياة العلماء، مشيرا إلى ثلاث وظائف رئيسية يجب أن يقوم بها العلماء؛ وهي: التعليم والإفتاء والنصح العام، وشدد على ضرورة أن يتحرر الفقيه من سطوة الدنيا ومن أسر تفاصيلها. وكان من رأيه أن العلم والعقل ليسا هما مفتاح الغنى، وقد يكون طريق الجهل أسرع وأضمن لمن يريد أن يغتني من وراء توسد القضاء من الفقهاء؛ ولذلك أرشد هؤلاء إلى أن الالتحاق بالجيش لأنه أجدى في تلبية طموحاتهم المالية. ورصد كذلك شراء المناصب القضائية بـ«البرطلة» (الرشوة المالية) ورأى أن هذا يُسقط أحكام القضاة الشرعية، مفندا مزاعم من يقول منهم: «أكرِهت على القضاء»، مؤكدا أنه لم يرَ «مَن أكرِه على القضاء الإكراه الحقيقي..، فقبحها الله تعالى من طائفة»! ثم حذر من بعض المشاكل العلمية التي فشت في عصره مثل آفة التعصب المذهبي، فقال مخاطبا الفقهاء: «وأما حملكم الناس على مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله منكم، ولا يحملكم عليه إلا محض التعصب والتحاسد. قبح الله مثل هذا الفقيه»!

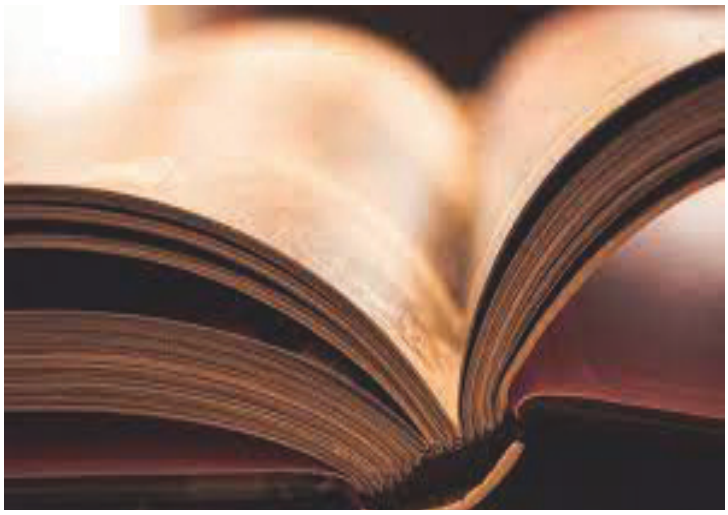
رؤية خلدونية

رغم أن ابن خلدون كتب 'المقدمة' وتاريخه 'العِبر وديوان المبتدأ والخبر' قبل وصوله إلى مصر عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م للاستقرار فيها، وإن زاد في عمليه كثيرا هناك ونقحهما؛ فإنه عقد فصلا في تاريخه عنونه بـ«الخبر عن دولة الترك (المماليك) القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب ولهذا العهد ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم». وتحدث مؤرخنا في هذا الفصل عن تدرج الأتراك في سلم المجتمع الإسلامي، بداية من عملهم في الصنائع والمهن، مرورا بانخراطهم في الجيوش جنودا مقاتلين، ودخولهم دواوين الحكم مديرين وكتبة مثقفين، وانتهاء بتبوّئهم أعلى مناصب السلطة العسكرية والسياسية قادة وسلاطين، وخاصة في مصر بعد نهاية الدولة الأيوبية فيها عمليا بمقتل الملك المعظم توران شاه الأيوبي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وتسلم مماليكها السلطة بدءا من السيدة شجرة الدر (ت ٦٥٥هـ/١٢٥٧م). ولعل وضع ابن خلدون في مصر بوصفه ضيفا لاجئا وإيثاره السلامة جعلاه لبقا في حديثه المقتضب عن المماليك؛ فهو يرى أنه كان «من لطف الله سبحانه أن تدارك الإيمان بإحياء رمقه، وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه، بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها الغزيرة المتوافرة أمراء حامية وأنصارا متوافية»، مؤكدا أن «أكثر.. الترك الذين بديار مصر من القفجاق (قبيلة مغولية)»، وجاعلا «لملوك الترك بمصر... الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المعظمة وخدمة الحرمين». أما 'المقدمة'؛ فقد كتبها ابن خلدون وهو على مشارف تاريخ يلملم أوراقه، إذ كان يكتب وهو يعرف أن عالمه الإسلامي يقف على الحافة بعد أن «نادى لسانُ الكون في العالم بالخمول» الذي كان ينتظر حضارته، ولم يذكر فيها دولة المماليك إلا عرضا عند حديثه عن وظيفة «الحاجب» وصناعة «الطراز» (زخرفة الملابس السلطانية) في عدد من الدول، فذكر ما جرى به العمل فيهما بدولة المماليك. لقد كانت 'المقدمة' إجابة تفصيلية عن أسئلة ابن المقفع الأربعة، لكن ابن خلدون أجاب عنها بطريقة مختلفة مركزا على سؤال الحضارة ومتحدثا عن الدول صعودا وهبوطا، وكيف تنسلخ الدولة من الأخرى بإكمال دورتها العُمُرية مثل الإنسان الذي يولد فيكبر ثم يهرم فيموت، وإذا «انتقض عمران الأرض [فذلك] بانتقاض البشر».



جدلية التجديد في الفقه الإسلامي

كتابة : وليد السروجي



التجديدُ من مآثر هذا الدين الوضيئة، وهو أحدُ عوامل بقائه حيًّا فاعلاً في حياة الأفراد والأمم. وقد منَّ المولى علينا بهذه النعمة السابغة، وبشَّرَنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». رواه أبو داوُد وصحَّحَ إسنادَه غيرُ واحدٍ من العلماء كالإمام السخاوي.

ومرادُنا بالتجديد التجديدُ الحميدُ الذي يعني إعادةَ الدين جديدًا غضًّا مؤثرًا في الفكر والشعور والسلوك. ولذلك فإن الحديث وإن كان يشير إلى أفرادٍ حَباهم المولى مؤهِّلاتِ التجديد دِينا وعِلماً، فإنَّه كذلك يرمي إلى أن يكون التجديد عنوانا لاتجاهٍ، ومسارَ عملٍ يَحتذيه الخلف، ويقتفون فيه أثرَ الأسلاف. ومن هنا نَقَلَ ابنُ كثير رحمه الله تعالى عن طائفة من العلماء أنَّ «الصحيح أنَّ الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار، ممَّن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمَّن أدرك من السلف، إلى من يدركه من الخلف، كما جاء في الحديث من طرق مُرسَلَةٍ وغيرِ مُرسلة (يحمل هذا العلمَ من كل خَلَفٍ عُدولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المُبطلين)». البداية والنهاية: ٢٧٢/٦، (دار إحياء التراث، ط١، ١٩٨٨م.). ولمَّا كان علمُ أصول الفقه من أبرز العلوم الشرعية؛ حيث يَزدوج فيه العقل والسمع ويصطحب فيه الرأيُ والشرع كما قال الإمام الغزالي (انظر: المستصفى، ص٤). فإنَّ من شأن التجديد أن يكون له عُروةٌ وثيقةٌ مع هذا العلم. لكنْ بداية لا بدَّ من التعريج إلى أن الرأي منقسمٌ بين العلماء المعاصرين تُجاه مسألة تجديد أصول الفقه، فبعضهم كالشيخ د. يوسف القرضاوي لا يرى ما يَحول و تجديد علم الأصول على وفق ضوابط مرعيَّة؛ وما يصحُّ على العلوم الشرعية يصحُّ على علم الأصول. (الموقع الإلكتروني للشيخ القرضاوي). وبعضهم الآخر كان يُحذِّر من هذا المنحى كالشيخ فيصل مولوي رحمه الله تعالى، لكون الأصول هي الضوابط التي ينبغي الاحتكام إليها، ولا ينالها التجديد.



(محاضرة للشيخ فيصل مولوي في مركز الأبرار التربوي، في العام ٢٠٠٥م.). ثم إنَّ القائلين بالتجديد، فريقان: الأول مُؤدَّى قولِه إيجابي؛ حيث يَقصُر التجديد على الشكل لغةً، وأسلوباً، وترتيبَ مباحث؛ ومن هؤلاء من نادى بضمِّ علم الأصول إلى شعبة الفلسفة كالشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية)، وهذا المنحى، وإن كان يظهر بادئَ الرأي أنه تجديدٌ في الشكل، ولكنه فيما أرى ينحو نحواً جوهريًّا لإدراج الأصول في العلوم النظريَّة والنسبيَّة، أي بعيداً عن الناحية العمليَّة والتأصيليَّة.

أما الفريق الآخر، فقد غلا في كلامه حتى رُميَ بالتحريف، ونادى بتغيير القواعد، وصرف الدَّلالات عما وضِعَت له، ومِن قَبل ذلك تَدَخَّل في أصالة بعض الأدلة الشرعية.

وإذا ما انصَرَفنا إلى التحديد أكثر، فإنَّ من المُجدي عند الحديث عن التجديد في الأصول مراعاة الأبعاد الآتية:

أولاً: تحرير القول في بعض الأدلة الفرعية تأييداً أو دَفعاً؛ من ذلك مبحث المصلحة، حيث داخَلَ مباحثَها ضوابطُ القول بالمصحلة، أي: إننا الآن بإزاء مبحثَين: القول بالمصلحة، والقول بضوابط المصلحة؛ كأن تكون ضروريَّة، كليَّة، قطعيَّة؛ ومن هنا نجد أن سيِّد القول بالمصلحة هو نجم الدين الطوفي المتوفى في العام ٧١٦ هـ. الذي لفَت إلى أنَّ دعوتَه «ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب إليه مالك، بل هي أبلغ من ذلك، وهي التعويل على النصوص والإجماع في العبادات والمقدَّرات، وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الأحكام» (رسالة في رعاية المصلحة، للطوفي، ص٤٠، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٣م.) وهو يرى أنَّ الأصل في العبادات العملُ بالنص، وأنَّ الأصل في العادات العمل بالمصلحة، ولا يرى أنه بذلك يواجه الشَّرع بالمصلحة، بل يَعُدُّ ذلك بياناً وتخصيصاً لأدلة الشرع. (رعاية المصلحة، للطوفي، ٢٣).

وما قدَّمَه الطوفي قد حَفيَ به الإمامُ القاسميُّ، واستلَّ كلامه من شرح الطوفي للأربعين النووية، وعلَّقَ على كلامه ووضَّحَ خَفيَّه في رسالة مستقلة، فرحَّبَ بذلك الشيخ رشيد رضا، وطبعَ الرسالة وتعليقاتِ القاسمي في مجلة المنار، في العام ١٣٢٤هـ الموافق ل ١٩٠٦م. ونشرَها تحت عنوان: «أدلَّة الشرع وتقديم المصلحة في المعاملات على النص»، وأيَّد مذهب الطوفي في المسألة، وقال: «إن الأحكام السياسية والقضائية والإدارية - وهي ما يعبِّر عنها علماؤنا بالمعاملات- مدارُها في الشريعة الإسلامية على قاعدة درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها، واستَشهدنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره من الصحابة إقامةَ الحدود أحياناً لأجل المَصلحة، فدل ذلك على أنها تُقدَّم على النص» (مجلة المنار: ٩/٧٢١).

ما تقدّم من نشر القاسمي لكلام الطوفي، واحتفاء رشيد رضا به يرمي إلى القول: لم يعُد مُستساغاً وَصمُ القول بالمصحلة بأنه صِنوُ التحريف، بل يتطلَّب الوقوف عند المسألة درساً وتحريراً؛ ولا علينا بعد ذلك من ردِّها أو قبولها، وهذا أحد أوجُه التجديد.

ومثل القول في المصلحة ينبغي القول في

دلالة الإجماع وتكييفه الشرعي، وما لابَسَه من أمور، حيث غدا اليوم مطيَّة للكثيرين؛ وخطأ من أخطأ في استعمال الإجماع نَجَمَ عن عدم وضوح المفهوم، أو عن عدم انطباق الدَّلالة مع المدلول.

ثانياً: إعادة تحرير القول في دلالة بعض القواعد الفقهية أو الأصولية، وهي إحدى موارد الاجتهاد، ومن ذلك قاعدة «ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب» (المستصفى، ص٥٧. العلمية، ط١، ١٩٩٣م.) والقاعدة وإن كانت أغلبيَّة، فإنَّ بعض العلماء لم يرتضِ أن تُعامَل معاملةَ الدليل، فقال ابن الشاط، في «إدرار الشروق على أنوار الفروق» معلقاً على هذه القاعدة: «والصحيحُ أنَّ ذلك غيرُ لازم فيما لم يُصرِّح الشرع بوجوبه». (٢٣/٢).

ثالثاً: إنَّ المجتهد المعاصر، وإن اتَّقى القولَ بالتجديد، أو لم يَستعلِن به، فإننا نراه يمارسه عمليّا، بوساطة الفتاوى المعاصرة، أو بوساطة مؤسَّسات علمية، وإذا ما استعرضنا ركائز اجتهاد المجتهدين في ذلك نرى أنها تنتظم الآتي:

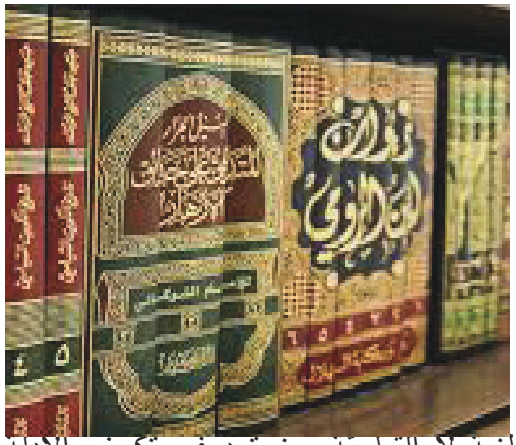
أ- الاعتماد على الأدلَّة الشرعيَّة، الأصلية أو الفرعية.

ب - الاعتماد على تخريجات الفقهاء، وعلى مَأتى أدلَّة السابقين.

ج- الاعتماد على فتاوى سابقة، أو القياس على الفتاوى السابقة.

د- العمل بالقواعد المعروفة، كالأخذ بالبراءة الأصلية، والأخذ بأخفِّ الضررَين، أو أنَّ الحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة، أو الرُّكون إلى الضرورة نفسِها، أو الأخذ بالأولويَّات، وغيرها من القواعد التي قد يُنزلها بعضهم منزلة الأدلَّة.

وإن دَقَّقنا فيما تقدَّم نجد أنَّ البندَين («ج» و «د») هما الأكثر استعمالاً، الأمر الذي يجعلنا نقول: أولاً: إذا كنَّا نسمح في التجديد في أصول الفقه، فينبغي ألاّ نجترحَ أصولاً جديدة، وإنَّ الأصول التي يمكن البحث فيها هي الأصول



الظنية لا القطعيّة، ونجتهد في تكييف الأدلة ومدى انطباقها على المدلول والواقع.

ثانياً: ينبغي ضبط بعض المفاهيم، وتخريجها على وفق الأصول، أو القواعد المنضبطة؛ وعلى سبيل التمثيل، فإننا اليوم أمام ما أراه مُعضلة، وهي مسألة رأي السلف، حيث نجد أن هذا المفهوم غائم، وغيرُ محدَّد الأبعاد والأركان، فمن هم السلف؟ وما المدة الزمنية التي تغطي هذه الحِقبة؟ وما حُجِّية قولهم؟ وإذا ما رُمنا تخريجَ ذلك على وفق الأصول، فهل لنا أن نسأل: هل نقصد بقول السلف: الإجماع؟ أم رأيَ الجمهور؟ فإن كان إجماعاً، أتُراه إجماع الصحابة، أو إجماع التابعين؟ أو تابعي التابعين؟ إلى آخر هذه التساؤلات. وعليه فهل مصطلح قول السلف أو مذهب السلف يدرج إلى مباحث الأصول؟ أو العقيدة؟ وعليه فما حُكم مُخالفه؟

ثالثاً: أرى ضرورة عدم الإسراف في استعمال القواعد والمقولات، والعودة إلى قواعد تفسير النصوص، وصِيَغ التكليف ومباحث الدَّلالات، وقواعد التعادل أو التعارض والترجيح. إنَّ التضلُّع بهذه المباحث، وانعكاسها على الدراسات الفقهية المعاصرة، هو ما يُعيد لعِلم الأصول جدَّته ونُضارَه، وهو ما يميِّز أهل الأصول من المتعجِّلين، ويحمي بيضة هذا الدين من الغلاة والمُبَدِّلين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



كتاب «الإسلاموفوبيا» وسياسة الإمبراطورية

كتابة : ديبا كومار

ترجمة وعرض: نضال إبراهيم - من فلسطين

ديبا كومار باحثة وناشطة حائزة جوائز، وأستاذة الدراسات الإعلامية بجامعة روتجرز. تكتب عن الإسلاموفوبيا والإمبراطورية في العديد من وسائل الإعلام العالمية

بعد أن شهد المسلمون في الغرب أشكالاً عديدة من العنصرية بسبب ممارسات وأفعال تنظيمات إرهابية استغلت الدين الإسلامي الحنيف. و هذا الكتاب يتناول تاريخ العنصرية ضد المسلمين من أوائل العصر الحديث إلى ما سمي بالحرب على الإرهاب، ويدعو إلى محاربة العنصرية بكل أشكالها تجاه المسلمين أو غيرهم. و الكتاب يقدم شرحاً واضحاً وموجزاً لكيفية عمل الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة كمجموعة من السياسات القسرية والأفكار التي تتخذ أشكالاً مختلفة: ليبرالية، و محافظة، ويمينية. هذا و توضح المؤلفة كيف تقوم المؤسسات المختلفة - كوسائل الإعلام ومراكز الفكر ومؤسسة السياسة الخارجية والجامعات وجهاز الأمن القومي والمجال القانوني - بإنتاج ونشر هذا الشكل الخاص من التعصب الأعمى. وترى أن العنصرية ضد المسلمين ليست لها عواقب وخيمة على الناس في عدد من البلدان ذات الأغلبية المسلمة فقط، بل أيضاً على المسلمين وأولئك الذين «يبدون مسلمين» في الغرب أيضاً. وهذا الكتاب يعرض العنصرية ضد المسلمين كأيديولوجيا ومجموعة من الممارسات المتجذرة داخل الإمبراطورية، مما يمكن اختصاره في ست نقاط كالتالي :

أولاً: إن أفضل طريقة لفهم الإسلاموفوبيا هي إدراك بأنها عنصرية وليست تعصباً دينياً. تقول المؤلفة: «عندما يتعرض المسلمون وأولئك الذين «يبدون مسلمين» في الولايات المتحدة وكذلك في جميع أنحاء العالم لأنماط منهجية من القمع والمراقبة إلى الاعتقال والتعذيب والحرمان من أبسط حقوق الإنسان، بما في ذلك الحق في الحياة، فذلك لا يعد سوء فهم ديني أو عدم تسامح بل عنصرية بنيوية».

ثانياً: الإسلاموفوبيا ليست مجرد نتاج عناصر يمينية هامشية، بل تظهر في أشكال ليبرالية ومحافظة. وتوجد الإسلاموفوبيا اليمينية بشكل مستمر مع وجود المتغيرات الليبرالية والمحافظة، والداعمون يجلسون براحة داخل البنية التحتية للإمبراطورية.

ثالثاً: ظهرت العنصرية المنهجية المعادية للمسلمين بعد الحرب العالمية الثانية كأنماط جديدة للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وخاصة نظرية التحديث والاستشراق الأمريكي، التي تنظر إلى العرب والمسلمين كعرق معاد للغرب.

رابعاً: «العرق» ليس مجرد تصنيف أو اختلاف في التصنيف، بل هو بالأحرى بناء ينبثق من ممارسات العنصرية.

خامساً: يجب على الإمبراطورية أن تعيد تشكيل الستراتيجية والمعركة باستمرار لكسب القلوب والعقول محلياً ودولياً. والإمبراطورية ليست هيكلاً راسخاً ولكنها عملية تعتمد على العنصرية لإعادة إنتاج نفسها.

سادساً: المقاومة مهمة، فالمقاومة في الدول العميلة أو المحاولات التي يقودها الدكتاتوريون المدعومون من الولايات المتحدة يمكنها أن تعطل الأهداف الإمبريالية وخلق الظروف للتضامن والمقاومة في المراكز الإمبريالية ضد ما أطلقت عليه حركة «احتلوا وول ستريت» نظام ١٪.

المفاهيم العنصرية

يبدأ الكتاب في تناول العنصرية أوائل العصر الحديث في إسبانيا، عندما تم تطوير المفاهيم الجسدية للعرق. حيث يناقش الفصل الأول كيف تبنت الإمبراطورية الإسبانية قوانين نقاء الدم التي تصور اليهود والمسلمين على أنهم غرباء دائمون لا يمكن استيعابهم بوساطة المنطق السابق للعالمية المسيحية. وكان للعرق والعنصرية في تلك الحقبة بعض علامات العنصرية الحديثة، ولكن لأنها كانت لا تزال تصور في لغة دينية ولأن المسلمين أوعلى وجه الدقة المسلمون الذين ظلوا في الأندلس المعروفين بالموريسكيين، فقد وضعوا حيزاً حدودياً بين الدونية والتفوق، وتسميها الكاتبة النزعة البدائية، قائلة: «بينما كانت إسبانيا قوة مهيمنة في عصر الإمبريالية التجارية، كان العثمانيون ومختلف الإمبراطوريات الإسلامية الأخرى قوى مهمة على المسرح العالمي. و لم تكن القوى الأوروبية في أوائل العصر الحديث قادرة على تحديها أو حلها.

هذا و قد نشأ الاستشراق كجسم فكري مكّن من الاستعمار في هذه الحقبة. ثم إنتاج العرق الإسلامي المتجانس، في الحالة البريطانية، بوساطة تجربتها في الهيمنة ليس فقط فيما يتعلق بالعرب والأتراك والإيرانيين ولكن أيضاً من جنوب آسيا. علاوة على ذلك، في إنجلترا، قبل أن يتم التلاعب بالاستشراق ضد الآخرين الأجانب، حين تم استخدامه لخلق آخرين داخليين، أولئك الذين لم يلتزموا بشكل جيد بأخلاق الرأسمالية الجديدة لما بعد الثورة الصناعية».

و يمكن اختصار الحجة التي تقدمها المؤلفة في الكتاب في قولها إن العوامل الداخلية والخارجية، أو المحلية والدولية، تلعب دوراً في مشاريع التمييز العنصري.. وتشير إلى أنه في حين احتل المسلمون مساحة محدودة في إسبانيا الإمبراطورية، فإن صعود الإمبراطورية الرأسمالية وقدرة بريطانيا على تحدي الإمبراطوريات الإسلامية القوية خلقت الظروف المناسبة للعنصرية الحديثة ضد المسلمين.

و توضح المؤلفة في الفصل الثاني كيف أن أمريكا المستعمرة والجمهورية الإسبانية حديثة التكوين كلتاهما استعارت من اللغة العرقية البريطانية، ولكنهما خلقتا أيضاً أنماطاً فريدة من التمييز العنصري تجاه المسلمين.

وتقول المؤلفة :

«في حين أن الاستشراق كأيديولوجية معقدة ومتناقضة ومتغيرة باستمرار وذات تاريخ طويل في الولايات المتحدة، إلا أن العنصرية المعادية للمسلمين ظهرت حينما أظهرت الولايات المتحدة نفسها كقوة إمبريالية بارزة تهدف إلى السيطرة على منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وآسيا.. وتضيف المؤلفة :«بينما واجه الأمريكيون العرب والمنحدرون من جنوب آسيا تمييزاً عنصرياً قبل هذه الحقبة على شكل قوانين تجنيس إقصائية، حصل على المواطنة الأمريكية أولئك الذين يُنظر إليهم على أنهم من البيض، بينما تم استهداف المسلمين السود من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي لممارستهم شكلاً من أشكال الإسلام الذي أعطى صوتاً للمقاومة ضد تفوق البيض والإمبريالية. وكان هذا جزءاً من أنظمة سابقة لتفوق البيض».

الاستشراق والسياسة الخارجية

و يبحث الفصل الثالث في استمرار الاستشراق وتكييفاته في القرن الحادي والعشرين، ويحدد ستة أطر أيديولوجية معترف بها موجودة في صميم العنصرية المعادية للمسلمين اليوم:

١) الإسلام كتلة متراصة.

٢) الإسلام متحيز جنسياً بشكل فريد والمرأة المسلمة بحاجة إلى تحريرها من قبل الغرب.

٣) الإسلام مناهض للحداثة.

٤) «العقل المسلم» عاجز عن تقبّل العلم والعقلانية.

٥) الإسلام عنيف بطبيعته.

٦) الغرب ينشر الديمقراطية لأن المسلمين غير قادرين على ممارسة الحكم الذاتي الديمقراطي. وهذه الأطر جزء من أيديولوجية راسخة لدرجة أن أولئك الذين يقدمون موقفاً نقدياً لا يُمنحون سوى القليل من المصداقية. ويركز هذا الفصل على كشف زيف هذه الأطر، بالاعتماد على آراء شخصيات في مختلف التخصصات. وفي الفصلين الرابع والخامس تتحدث المؤلفة عن السياسة الخارجية الأمريكية ومواقفها مما تصفه بالتهديد الإسلامي. حيث ناقشت في الفصل الرابع المواقف المتغيرة تجاه المسلمين «الجيدين» و«السيئين» والعرب والإيرانيين والأفغان. وهذه المواقف هي نتاج العنصرية الإمبراطورية الأمريكية العرقية لأن التصنيف (الجيد / السيّء) ينشأ مما إذا كان المرء يدعم أو يعارض سياسة الولايات المتحدة وإمبراطوريتها. علاوة على ذلك، يمكن للمرء أن ينتقل بسهولة من «جيد» إلى«سيّء». و يلخص الفصل أيضاً الجدل بين الجناحين الرئيسيين داخل السياسة الخارجية: المحافظون الجدد وأنصار التدخل الليبرالي. إذ يختلف الاثنان بشأن ما إذا كان يجب مواجهة «التهديد الإسلامي» أوالتكيف معه، لكنهما متحدان في دعمهما المطلق ل«باكس أمريكانا»، وهو نظام عالمي تهيمن عليه الولايات المتحدة.

هذا و قد أدى هذان النهجان داخل الطبقة السياسية الأمريكية إلى نوعين من الإسلاموفوبيا: المحافظ والليبرالي. حينما أنتجت هجمات الحادي عشر من سبتمبر تقارباً والتزاماً باتباع نهج المواجهة، وإطلاق الحرب على الإرهاب كمشروع لا نهاية له. وتم تعزيز الإمبريالية الأمريكية بشكل كبير بعد عام ٢٠٠١م.

أما الفصل الخامس فيناقش الاستمرارية والانقطاع في هذا النهج بين إدارات بوش وأوباما وترامب. ويحلل وثائق السياسة الرئيسية زيادة على آراء صانعي السياسة لتوضيح كيفية قيام مؤسسة السياسة الخارجية، بما في ذلك العديد من مؤسسات الفكر والرأي، بمتابعة الحرب على الإرهاب. ويشير إلى أنه بشكل ملحوظ، حينما رفض ترامب الإجماع الليبرالي في إدارتي بوش وأوباما، استمرت «هيمنته غير الليبرالية» في بعض سياسات أسلافه حتى عندما وضع مناهج جديدة. من قبل كل هذه الإدارات، عندما كان الناس في العديد من البلدان ذات الأغلبية المسلمة عرضة للعنصرية بالشكل الذي وصفته روث ويلسون جيلمور بأنهم «معرضون للموت المبكر» بوساطة الحروب التقليدية والعقوبات وحرب الطائرات بدون طيار والضربات الجوية.

المكارثية الجديدة

و في الفصل السادس يتحول جهد المؤلفة إلى الواقع الأمريكي المحلي لتوضيح كيف أن الجهاز الأمني والقانوني قد أرهب المسلمين. حيث يحمل الفصل عنوان «ترهيب المسلمين» لأنه يهدف إلى معالجة مسألة «المسلم العرقي»، وهي فئة متجانسة من الناس من غرب إفريقيا إلى آسيا، تم اعتبارها كتهديد إرهابي في حقبة

ما بعد ١٩٩١م. ويناقش هذا الفصل كيف أدت السياسات المصممة للسيطرة على هذا التهديد من المراقبة إلى المحاكمة الوقائية إلى الخوف والرعب داخل المجتمعات المستهدفة.

ولم يؤد تقوية الإمبراطورية بعد ١١ سبتمبر إلى تمكين الولايات المتحدة من شن الحرب في الخارج فحسب، بل أدى أيضاً إلى إنشاء أنظمة جديدة للسيطرة العرقية داخل الولايات المتحدة. حيث تم تكييف الأساليب المستخدمة في الحرب الباردة مع الحرب على الإرهاب: وهكذا فإن «الرعب الأحمر الشيوعي» تحول إلى «الرعب الأخضرالإسلامي ». والجزء الأكبر من هذا الفصل يتحدث عن الممارسات العنصرية لجهاز الأمن الداخلي، والذي يضم عدداً من المؤسسات مثل وزارة الأمن الداخلي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الأمن القومي، ووزارة العدل، ومختلف أقسام الشرطة، والنظام القانوني. وتعلق الكاتبة بالقول:«من المؤكد أن هذا التمييز بين المحلي والدولي هو أمر مصطنع. لأن الإمبراطورية الأمريكية هي وطنية ودولية في آنٍ واحد، وطورت أساليب السيطرة محلياً في الخارج والعكس بالعكس». وتحدد المؤلفة أنظمة المراقبة والاعتقالات التعسفية والتسجيل والاحتجاز إلى أجل غير مسمى والتعذيب والترحيل التي ينشرها جهاز الأمن في عملية أطلق عليها اسم «أمننة الإسلام». وكانت الوسيلة الرئيسية لعملية السيطرة العرقية هذه هي الاعتقاد بأن«الإسلام» كأيديولوجيا تهيئ المسلمين للعنف.

هذا و يلقي الفصل السابع نظرة على اليمينيين المعادين للإسلام («المكارثيون الجدد») وعلاقاتهم بالمؤسسة الأمنية والإعلام والطبقة الأكاديمية والسياسية. وتجد المؤلفة أن شبكة الإسلاموفوبيا، التي تتكون من مجموعات مختلفة بما في ذلك أقسام من معسكر المحافظين الجدد والصهاينة واليمين المسيحي ومختلف «المسلمين السابقين»، ليست أقلية هامشية كما أصر بعضهم على ذلك، ولكنها جزء لا يتجزأ من هياكل الإمبراطورية الأمريكية والمؤلفة تقول:«يلعب المكارثيون الجدد دوراً جماعياً في تصعيد الخوف والكراهية تجاه المسلمين، وهو ما مكنته المؤسسة الليبرالية. فهم يستثمرون بعمق في الإمبريالية الأمريكية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني ويلعبون دوراً مشابهاً لدور محاربي الحرب الباردة في الماضي. في حين أن الإسلاموفوبيا اليمينية تدور على الإقصاء (إزالة رموز الإسلام من الحياة العامة، وحظر المسلمين، وما إلى ذلك)، فإن الإسلاموفوبيا الليبرالية تدور على الإدماج بشروط الإمبراطورية الأمريكية؛ وكلاهما شكل من أشكال العنصرية الأمريكية الإمبريالية». حيث تزاوجت شرعية ترامب مع المكارثيين الجدد ورفعتهم ليس فقط بوساطة اقتراحاته بأن أوباما«مسلم سري» ولكن أيضاً بتوجيه اليمين المعارض للإسلام إلى تولي مناصب داخل إدارته.

وكانت النتيجة النهائية أنه تم التغلب على العنصرية الضمنية المشفرة في حقبة ما بعد الحقوق المدنية، لتحل محلها وفي الصدارة العنصرية العلنية الصارخة».

تعقيدات وتناقضات

ترى المؤلفة أن الإشارة إلى التغييرات والتعقيدات والتناقضات داخل العنصرية الأمريكية المعادية للمسلمين لا يعني محو قوتها، بل إظهار أنها ليست مباشرة ولا بسيطة؛ بل ظاهرة معقدة تحتاج إلى فهم على مستويات عديدة. لذلك تجد أنه «علينا تجنب أي نهج مغرض». وترى أن التناقض متأصل في النظام. علاوة على ذلك، فإن «التناقض هو أيضاً أساس التغيير.»



الإسلاموفوبيا.. معاناة المسلمين في ديمقراطيات الغرب

كتابة : خالد عيسى

كاتب عربي- المغرب

مفهوم ((الإسلاموفوبيا)) ازدهر على إثر هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي وقعت في الولايات المتحدة . و((الإسلاموفوبيا)) مفهوم يَعني حرفيا الخوف الجماعي المرضي من الإسلام والمسلمين، إلّا أنه في الواقع نوع من العنصرية قوامه جملة من الأفعال والمشاعر والأفكار النمطية المسبقة المعادية للإسلام والمسلمين.



السياق التاريخي

يُرجع مؤرخو الحقبة الاستعمارية أول استعمال لمفهوم «الإسلاموفوبيا» (Islamophobia) -الذي يعني «رُهاب الإسلام» أو الخوف المرضي من الإسلام- إلى بدايات القرن العشرين.

فقد استعمل علماء اجتماع فرنسيون هذا المفهوم لوصف رفض جزء من الإداريين الفرنسيين ومعاداتهم للمجتمعات المسلمة التي كانوا يتولون إدارة شؤونها في زمن الاحتلال، ويُفترض أن يتعايشوا معها ويندمجوا في أنساقها الاجتماعية، نظراً لما تُمليه المهام الإدارية والسياسية المسندة إليهم. والواقع أنَّ ذلك الرفض وتلك الكراهية مصدرهما عنصري بالدرجة الأولى، ثم ثقافي ونفسي مردُّه إلى الخطاب الاستعماري نفسه الجاهل بالإسلام والمخوف منه ومن المسلمين، بحكم سابقِ ريادةِ الحضارة العربية الإسلامية للعالم في القرون الوسطى.

هذا و يرى جزءٌ آخر من علماء الاجتماع واللسانيات أن الإسلاموفوبيا ازدهرت كمفهوم مع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، إذ استُخدم هذا المفهوم ورُوج له من قبل مرجعيات دينية شيعية محافظة لفرض ارتداءِ الحجاب. فوُصم بمعاداة الإسلام أو الإسلاموفوبيا كل من يُعارض فرض الحجاب في الأماكن العامة، كما وُصمت به النساء الرافضات ارتداء الحجاب لدوافع ثقافية أو اجتماعية.

وازدهر مفهوم الإسلاموفوبيا في مطلع العقد الأول من الألفية الثالثة وتحديدا إثر هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي وقعت في الولايات المتحدة وتبناها تنظيم القاعدة، وأحدثت تحولا

نوعيا في واقع العلاقات الدولية واحتُل إثرها بلدان إسلاميان هما العراق وأفغانستان.

وقد أعاد هذا طرح إشكالية المواجهة بين الإسلام والغرب التي بشَّر بها عددٌ من المفكرين الغربيين المتصهينين منذ نهاية الحرب الباردة، إذ روجوا لبروز الإسلام باعتباره عدوا جديدا للغرب بدلاً عن الشيوعية ممثلة في الاتحاد السوفياتي، وروَّج بعضهم لفكرة انتهاء «الخطر الأحمر» الشيوعي وبروز «الخطر الأخضر» الإسلامي.

وفي عام ٢٠٠٥م، دخل مفهوم الإسلاموفوبيا إلى المعاجم الفرنسية بدءا بمعجم (Le petit Robert) الذي عرف الإسلاموفوبيا كالتالي: «شكل خاص من الحقد موجه ضد الإسلام والمسلمين، يتجلى بفرنسا في أفعال عدائية وتمييز عنصري ضد المهاجرين المنحدرين من أصول مغاربية».

إذن، يبدو التداخل جليا بين المشاعر العنصرية ضد العرب وكراهية الإسلام. ويُحيل هذا المعطى على الربط الآلي بين الانتماء العرقي والانتماء الديني.

فالشخص المنحدر من شمال أفريقيا مربوط بالإسلام عضويا مع أن فئات من هذه المجموعات المهاجرة غير متدينة، وبعضها وهنت روابطه بالإسلام حتى كادت تنعدم نظرا للمثاقفة المترتبة في توالي ولادة أجيال عديدة، نشأت وتربّت في بيئات المهجر البعيدة في كثير من الأحيان عن التدين عامة وعن الإسلام خاصة.

و مع ظهور الإسلاموفوبيا -في كثير من الأقطار الغربية- نما خطابٌ سياسي يميني متطرف يسعى بشكل حثيث إلى استثمار الوضع الدولي المترتب في هجمات ١١ سبتمبر وما اتسم به من خطاب إعلامي معادٍ للإسلام، والواقع الاجتماعي في الغرب وما يُميزه من مشاكل الهوية والاندماج خاصة بالنسبة للمسلمين والعرب.

وفي ضوءِ هذه العوامل، نشأ شعورٌ عنصري مناوئ للمسلمين والعرب وللإسلام، أذكاهُ الجهل المستحكم بالإسلام لدى فئات واسعة من المجتمعات الغربية، وخطابٌ محرض لدى بعض وسائل الإعلام، وآخر متهافت وجاهل بالإسلام لدى أكثر المنابر الإعلامية إعتدالا.

هذا و قد سعت الأحزاب الأوروبية اليمينية المتشددة إلى استثمار المناخ اللاحق على هجمات ١١ سبتمبر في تكريس الخوف من الإسلام والمسلمين وتوظيفه لغايات انتخابية، فظهرت شعارات منها أسلمة أوروبا والتهديد الإسلامي الخفي، وغير ذلك من الشعارات التي وفرت لليمين المتطرف خطاباً مسموعاً عوضه عن ضعف خطابه السياسي ومحدودية البدائل الاقتصادية والاجتماعية التي يُقدمها.

و تجلت نتائج هذا الخطاب في تنامي الأعمال العدائية ضد المسلمين والعرب، وفي حق المساجد ومقابر المسلمين التي تعرضت للتدنيس في أكثر من مناسبة، كما ظهرت مجموعات من شبان اليمين تعتدي بشكل منظم ومنهجي على المسلمين في شوارع وأزقة المدن الأوروبية كلما سنحت لها سانحة.

وأججت الأزمة المالية العالمية التي اندلعت في ٢٠٠٧ موجة الكراهية ضد المسلمين، وبات اليمين المتطرف يُروج لفكرة ظالمة مفادها أن الهجرات القادمة من شمال أفريقيا والشرق الأوسط هي سبب الأزمة، وأن هؤلاء المهاجرين باتوا يُزاحمون الأوروبيين الأصليين في الحصول على فرص العمل ويُكلفون الميزانية العمومية نفقاتٍ باهظة، وفي نفس الوقت يبنون مستقبلهم في بلدانهم الأصلية عبر استثمار ما يجنونه في المهجر.

ومع موجات اللجوء الكبرى القادمة من سوريا والعراق ودول آسيوية عبر تركيا عام ٢٠١٦، ازدهر خطاب الكراهية من جديد،

و صدرت قراراتُ عددٍ من الدول بإغلاق حدودها مع اليونان ودول البلقان لتكشف عن نزعة دفينة للشعور القومي الأوروبي الذي سبق له أن جرَّ على شعوب أوروبا ويلاتٍ لا تُحصى.

وتعتبر الولايات المتحدة الأميركية من أكثر البلدان التي تشهد جرائم كراهية ضد المسلمين، وقد ذكر مكتب التحقيق الفدرالي الأميركي (أف بي آي) في مايو/أيار ٢٠١٧ أن نسبة تلك الجرائم شهدت ارتفاعا بنسبة ٦٧٪ عام ٢٠١٥، مشيرا إلى أن عدد المجموعات المعادية للمسلمين في تزايد.

وخلصت دراسة أجراها مجلس العلاقات الأميركية الإسلامية (كير) إلى أن عدد الاعتداءات على المسلمين في ٢٠١٦ تجاوز ألفي اعتداء مقابل ١٤٠٠ اعتداء سنة ٢٠١٥.

وقد انتقد أعضاء في الكونغرس عدم إبلاغ ولايات عدة عن الأرقام الحقيقية لجرائم الكراهية التي قد تصل إلى ثلاثين ضعفا لما هو معلن و مبلغ عنها.

و انتشرت ظاهرة الإسلاموفوبيا بسرعة في البلدان الأوروبية، وباتت أخبار الاعتداء على المسلمين تأتي من معظم العواصم الأوروبية، حيث شهدت العاصمة البريطانية لندن في أبريل/نيسان ٢٠١٧، اعتداءً على امرأة محجبة تم إنزالها من حافلة نقل عام عنوةً.

كما تعرضت عدة نساء محجبات لاعتداءات مشابهة عام ٢٠١٦ في لندن، وتضمنت الاعتداءات أعمال ضرب في الشارع، وإزالة للحجاب. وذكر بيانٌ لجمعية مكافحة الإسلاموفوبيا في فرنسا، أن البلاد شهدت عام ٢٠١٦، حدوث ٤١٩ جريمة تمييزٍ، و٣٩ جريمة مضايقة وتحرش، و٢٥ هجوماً، و٩٨ حادثة خطاب يحض على الكراهية واعتداء على المباني الدينية.

وشهدت بلدة هينان بومونت، شمالي فرنسا، في ٣٠ مايو/أيار ٢٠١٧، اعتداء شخص على إمرأة كانت تجلس بجوار طفلها في حديقة عامة، وتضمن الاعتداء إزالة الحجاب وضرب المرأة على رأسها.

وبعد اعتداء تشارلي إبيدو، شن أحد المتطرفين هجوماً على منزل فرنسي مسلم يدعى محمد المعقولي، وقال له: «أنا إلهكم»، قبل أن ينقض عليه ويطعنه ١٧ مرة أمام زوجته.

وفي النمسا، سجلت أحداث الاعتداءات النابعة عن كراهية الإسلام زيادة بنسبة ٦٥٪، حيث تعرض المسلمون هناك لاعتداءات أثرت سلبياً بحياتهم اليومية.

وفي سبتمبر/أيلول ٢٠١٦، شهدت العاصمة النمساوية فيينا، إعتداء مواطن نمساوي على مواطنة نمساوية من أصل تركي، تدعى شهربن دورماز (٥١ عاما)، حيث اعتدى المواطن النمساوي على دورماز، بالضرب ونزع الحجاب عن رأسها.

وأظهر تتابع هذه الاعتداءات أن الهجمات التي يتعرض لها المسلمون ليس من الممكن أن تكون عبارة عن أحداث فردية، فيما أشار المركز الاستشاري للمسلمين في النمسا، في تقرير نشره عن العنصرية المرتكبة ضد المسلمين عام ٢٠١٦، أن نسبة الهجمات ضد المسلمين زادت في ذلك العام بنسبة ٦٥٪.

هذا و شكّل قرار محكمة العدل الأوروبية عن منع ارتداء الحجاب في أماكن العمل، أرضية تمهد لازدياد نسبة الهجمات المعادية للإسلام.

وأضاف تقرير المركز الاستشاري للمسلمينٍ في النمسا، أن نسبة الهجمات كانت ترتفع دوماً قبيل الانتخابات في الدول الأوروبية. و هذا غيض من فيض معاناة المسلمين في دول الغرب الديموقراطية ، فلمن المشتكى ؟ و متى الخلاص ؟!



كيف حولت أوروبا الإسلاموفوبيا إلى أسطورة خطيرة

كتابة : محمد عبد الله

كاتب مغربي

اعتبر باحثان في جامعة جورج تاون الأميركية أن السنوات الأخيرة شهدت «حربا ثقافية» ضد دراسات الإسلاموفوبيا في دول أوروبية مثل فرنسا وألمانيا والنمسا، حيث أنكرت الحكومات والأحزاب السياسية ومفكرون في هذه البلدان وجود مشكلة رهاب الإسلام لديهم أو في تعامل مجتمعاتهم مع الأقليات المسلمة.

وذكر الباحثان في الدراسات الإسلامية والعلوم السياسية جون إسبوزيتو وفريد حافظ في مقال لهما بموقع «ميدل إيست آي» (Middle East Eye) الإخباري البريطاني- أنه على مدى العقدين الماضيين برزت دراسات الإسلاموفوبيا بشكل متزايد كمجال جامعي فرعي يوثق ويتحدى العنصرية والتمييز وخطاب الكراهية والعنف ضد المسلمين في جميع أنحاء العالم.

وقد تناولت كتب ومجلات ومنتديات وتقارير إعلامية واستطلاعات رأي رئيسية أسباب وتأثيرات الإسلام فوبيا، ومع ذلك ما زالت حكومات أوروبية عدة تحاول جاهدة إنكار وجود هذه الظاهرة من الأساس، ففي فرنسا مثلا لا تقبل الحكومة ومؤيدوها الدراسة النقدية والنقاش في إطار مجال دراسات الإسلاموفوبيا الناشئ، معتبرين أن هذا الإطار الفكري مسؤول عن خلق والترويج لفجوة اجتماعية خطيرة داخل المجتمع.

ويرى الفيلسوف الفرنسي المعاصر باسكال بروكنر - في كتابه «عنصرية خيالية.. الإسلاموفوبيا والشعور بالذنب»- أن الإسلاموفوبيا محض افتراء يستخدمه الإسلاميون كسلاح للترهيب الجماعي، ويخلص



إلى ان مناهضي العنصرية اصبحوا هم انفسهم عنصريين، داعيا للدفاع عن «القيم الغربية» في وجه هؤلاء.

ويعتقد كاتبا المقال أن هذا النوع من الخطاب المعادي للإسلام تم توظيفه من قبل حكومات أوروبية وساسة آخرين لإسكات أي صوت ناقد لسياساتهم ضد الجاليات المسلمة.

ففي ألمانيا، الحزبان المسيحيان المحافظان الحاكمان (حزبا الاتحاد الديمقراطي المسيحي والاتحاد الاجتماعي المسيحي) أصدرا بيانا أشار إلى تصريح لعميد معهد الدراسات الإسلامية في جامعة مونستر الألمانية مهند خورشيد الذي قال إن «مصطلحات مثل الإسلاموفوبيا والعنصرية ضد المسلمين أصبحت مصطلحات قتالية للإسلام السياسي»، وأكدت رسالة مفتوحة سبقت البيان على أهمية «عدم الخضوع لاتهامات لا أساس لها بالإسلاموفوبيا».



وذكر الكاتبان أنه انطلاقا من هذا الموقف المناهض لدراسة الإسلاموفوبيا والوعي بوجودها يعتبر السياسيون في النمسا وألمانيا وفرنسا «الإسلام السياسي» أو «الانفصالية الإسلامية» أو «الإسلاموية» أكبر تهديد يواجه المجتمع الأوروبي، مما سمح للزعماء السياسيين في إتخاذ إجراءات صارمة ضد بعض المواطنين المسلمين بزعم أنهم يشكلون خطرا على المجتمع الأوروبي.

ونتيجة لذلك شُنت حملات دهم واعتقال استهدفت منظمات مجتمع مدني إسلامية ، ومساجد باسم حماية الدولة، مع أن سياسات كهذه تقوض في واقع الأمر حريات أساسية يحميها الدستور، مثل حرية الدين والمعتقد والتعبير والفكر.

ومن الأمثلة الحديثة على التداعيات الخطيرة لهذه «الحرب الثقافية» - يضيف الكاتبان- حملة دهم استهدفت ٣٠ إرهابيا مزعوماً بالنمسا في تشرين الثاني الماضي، وإعلان وزير الداخلية كارل نيهامر أن الهدف من حملة الدهم «إستئصال جذور الإسلام السياسي»، لكن عِندما تم استجواب المشتبه بهم في وقت لاحق طرحت عليهم أسئلة لا تمت للعنف بصلة، بل تعكس تأثرا واضحا بالمنظور الغربي المعادي للإسلام.

هذا و قد شمل التحقيق أسئلة مثل: ماذا تفهم من مصطلح «الإسلاموفوبيا»؟

برأيك، هل هذا المصطلح مقبول؟

هل المسلمون مكبوتون في النمسا؟

هل توقظ زوجتك للصلاة فجرا؟

هل تسمح لأطفالك في سماع الموسيقى؟

هل يجوز لابنتك أن تتزوج مسيحيا أو يهوديا أو ملحدا؟

مما يكشف - كما يقول الكاتبان - إلى أي مدى أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا مصطلحا «إشكاليا» بالنسبة للسلطات الأوروبية في ظل إستمرار قمع المفكرين العرب و المسلمين و مؤسسات المجتمع المدني المسلم في أوروبا، و نشر فكرة العداء للإسلام و الترويج لفكرة الإسلام فوبيا إلى حد جعلها أسطورة خطيرة !



الباطنيَّةُ: سُلالةُ الفُرسِ المَجوس (الجزء الثاني)

كتابة : الشيخ بليل عبد الكريم

كاتب عربي

عقائدُ الباطنيَّةِ:

أوَّل حَركةٍ باطنيَّةٍ إسماعيليَّةٍ لإقامةِ دولةٍ لها، كانت باليَمَن على يَدِ الحَسَنِ بن فَرَج، الملقّب بالمنصور، مع عليِّ بن الفَضلِ، وبعد أن قَوِيَ عودُهما بدأ الجَهرُ بالمعتقَداتِ، فقد أحلّوا الخُمورَ والزّنا واللِّواط، ونِكاحَ المحارِم مِن الأمَّهاتِ والبَناتِ والأخواتِ، وأسقطوا الصَّلواتِ، وأبطلوا الصِّيامَ وجميعَ المحرّمات!

ولخّص ذاك عليُّ بنُ الفضلِ في أبياتٍ:

خُذِي الدَّفّ يَا هَذِهِ وَالْعَبِي
وَغَنِّي هَزَارَيْكِ ثُمّ اطْرِبِي
تَوَلّى نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ
وَهَذَا نَبِيُّ بَنِي يَعْرُبِ
لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَى شَرْعُهُ
وَهَذِي شَرَائِعُ هَذَا النَّبِي
فَقَدْ حَطّ عَنّا فُرُوضَ الصَّلاةِ
وَحَطّ الصِّيامَ فَلَمْ يُتْعِبِ
إِذَا النَّاس صَلّوْا فَلَا تَنْهَضِي
وَإِنْ هُمُ صَامُوا كُلِي وَاشْرَبِي

وَلَا تَطْلُبِي السّعْيَ عِنْدَ الصَّفا
وَلَا زَوْرَةَ الْقَبْرِ فِي يَثْرِبِ
وَلَا تَمْنَعِي نَفْسَكِ الْمُعْرِسِينَ
مِنَ الْأَقْرَبِينَ وَمِنْ أَجْنَبِي
فَكَيْفَ حَلَلْتِ لِهَذَا الْغَرِيبِ
وَصِرْتِ مُحَرَّمَةً لِلأَبِ
أَلَيْسَ الْغِرَاسُ لِمَنْ رَبَّهُ
وَرَوَّاه فِي الزَّمنِ الْمُجْدِبِ
وَمَا الْخَمْرُ إِلَّا كَمَاءِ السَّماءِ
مُحَلٌّ فَقُدِّسْتَ مِنْ مَذْهَبِ

وفي سَنَواتِ الدَّولةِ الإسماعيليَّةِ باليمن تمكّن دعاةُ الإسماعيليَّةِ مِن إنشاءِ حركةٍ لهم في سَوادِ الكوفةِ والبحرين، عُرِفت بالقرامِطةِ سنة ٢٧٨هـ، ثمَّ انطلقوا منها للبَطشِ بالحُجَّاج؛ حيث عاثوا في الحَرَمِ فسادًا، وقتلوا خلقًا كثيرًا، وسرقوا الحَجَرَ الأسوَدَ إلى عاصِمَتِهم، وروّعوا الآمِنينَ.

من دعاوى الباطِنيَّةِ ألوهيَّةُ أئمّتها؛ فكُلُّ رأسِ دَعوةٍ يدّعي المشيخةَ، ثمَّ الإمامةَ، ثمَّ النبوّةَ، ثم الألوهيَّةَ، وهذا مبنيٌّ على نظريةِ الارتقاءِ الحُلوليِّ الصُّوفيِّ الفلسفيِّ، أي: إنَّ بمقدرة الإنسانِ أن يرتقيَ بالتأمُّلِ أو العرفانِ الرُّوحيِّ الصوفيِّ من درجةٍ لأعلى حتى يحاكِيَ الأنبياءَ، وقد يعلوهم حتى يتوحَّد مع الذَّاتِ الإلهيَّةِ! وهو ما يُعرَف في الدِّيانةِ البراهميَّةِ بالنيرفانا، وفي التراثِ الغنوصيِّ الإشراق، وفي التراثِ الباطنيِّ بالاتحادِ، أي: الاتحادِ بين رُوحِ العارفِ والذَّاتِ الإلهيَّةِ، وهي عمليَّةٌ عكسيَّةٌ لنظريَّةِ الحُلولِ القائلةِ بحُلولِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ في أجسامِ البَشَرِ من المعظمين، كما قالت السَّبَئيَّةُ بحُلولِ الذَّاتِ الإلهيَّةِ في الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، ثمَّ في عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وهو قولُ النُّصَيريَّةِ العَلويِّينَ بسوريا.

وقمّة تطوُّرِ النظريَّتينِ القولُ بوَحدةِ الوُجودِ، أي: إنَّ الذَّاتَ الإلهيَّةَ حالَّةٌ في الوجودِ، بمعنى أوضَحَ: كُلُّ ما في الكونِ هو الذَّاتُ الإلهيَّةُ، وبمعنى أقربَ: القولُ بأنَّ الله في كلِّ مكانٍ.

ومن دُعاةِ نَظريَّةِ وَحدةِ الوُجودِ محي الدين بن عَرَبي الأندلسيُّ، وسيُلقي بظِلالِ ضلالِه على الطريقةِ العَدَويَّةِ الصُّوفيَّةِ، التي سيتحوَّل أتباعُها إلى اليزيديَّةِ عبَدَةِ الشَّيطانِ.

الإسماعيَّليةُ من المعطِّلةِ؛ ينفون الصِّفاتِ والأسماءَ عن اللهِ تعالى مُطلقا... «فلا يُقال عليه: حيٌّ، ولا قادِرٌ، ولا عالِمٌ، ولا عاقِلٌ، ولا كامِلٌ، ولا تامٌّ، ولا فاعِلٌ؛ لأنَّه المبدِعُ الحيُّ القادِرُ العالِمُ التَّامُّ الكامِلُ الفاعِلُ، ولا يُقال: له ذاتٌ؛ لأنَّ كُلَّ ذاتٍ حامِلةٌ للصِّفاتِ...» ، فتوحيدُ اللهِ تعالى عندهم بمعرفةِ حُدودِه، وتنزيهه بنَفيَ الصِّفاتِ والأسماءِ عنه، وهذا لُبُّ فلسفة أفلوطين الحديثة، بل عَينُها.

أمّا نظريَّةُ الخَلقِ فهي نظريَّةُ الفَيضِ التي تجِدُها عند الفارابي وابن سينا، وكلاهما من الإسماعيليَّةِ، وهذه النظريَّةُ لأفلوطين، وهي مركَّبةٌ مِن خُرافاتِ عبَدَة الكواكِبِ والنجوم، ولها امتدادٌ عند البابليِّينَ والكلدانيِّينَ والكَهَنَةِ الفراعنةِ، والقابالاه اليهودية في «نظرية الفوضى الخلَّاقة»، إلَّا أنَّ تشقيقَ الكلام وزخرفتَه حولها (فلسفة!)، فهم يُطلِقون على اللهِ اسمَ «العَقْلِ الأوَّلِ» و«المبدِعِ» و«العَقْلِ الكُلِّي» و«النَّفْسِ الكُلِّيَّة»، ولك أن تعجَبَ! يَصِفونه بما لم يَثبُتْ لا في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ، ويَنْفُونَ عنه ما ثبت بالنَّصِّ القَطْعيِّ.

عَمِلَ الإسماعيليَّةُ على التوفيقِ والتلفيقِ بين الأديانِ، وهم من أكبَرِ وأنشَطِ الدُّعاةِ لنظريَّةِ توحيدِ الأديانِ، وهي ذاتُ جُذورٍ فَلسفيَّةٍ بُغيةَ هَدمِ النبوَّاتِ؛ لِيُصبِحَ الفلاسفةُ همُ مَن يُشَرِّعون للنَّاسِ عقائِدَهم، كما في «الجمهورية» لأفلاطون، وما حاكاه فيه الفارابي في كتاب «المدينة الفاضلة»؛ فقد جعل بإمكانِ الحكيم (الفيلسوف) أن يرتقِيَ على النبيِّ، بل هوَ عنده أرقى؛ إذ النبيُّ يعلَمُ بوساطةٍ، والفيلسوفُ بِجُهْدِه الفِكريِّ ومَلَكتِه العَقليَّةِ! وعنهم أخذ فرسانُ المعبَدِ الفِكرةَ ليَضُمُّوها إلى نشاطِ الماسونيَّةِ العالميَّةِ؛ أكبَرِ راعي سِرِّيٍّ وعَلَنيٍّ، بالنشاطات الاجتماعيَّةِ والنوادي؛ لدعوةِ التقريبِ بين الأديانِ، والبروتستانتيَّةُ النصرانيَّةُ أكبَرُ راعٍ للفِكرةِ من الكنائِسِ، وكُلُّ ذاك بُغيةَ محوِ الأديانِ، وهَدْمِ الوَحيَ، والاستعاضةِ بالتشريعِ الوَضعيِّ للفلاسِفةِ والمفكِّرين... وهم ملاحِدةٌ وَضَعوا العمائِمَ على رؤوسِهم، أو كانوا حاسِري الرُّؤوس!

وكمِثالٍ على التلفيقِ بين الإسلامِ والنصرانيَّةِ يقولُ الشِّيعيُّ السجستاني: «إنَّ الشَّهادةَ مبنيَّةٌ على النَّفيَ والإثباتِ؛ فالابتداءُ بالنَّفيَ والانتهاءُ إلى الإثباتِ، وكذلك الصَّليبُ خشبتان: خشبةٌ ثابتةٌ لذاتِها، وخشبةٌ أخرى ليس لها ثباتٌ إلا بثباتِ الأخرى، والشَّهادةُ أربَعُ كلِماتٍ، كذلك الصليبُ له أربعةُ أطرافٍ؛ فالطَّرفُ الذي هو ثابتٌ في الأرض منزلتُه منزلةُ صاحِبِ التَّأويلِ الذي تستقرُّ عليه نفوسُ المرتادين، والطَّرَفُ الذي يقابله علوًّا في الجَوِّ، مَنزِلتُه مَنزِلةُ صاحِبِ التأييدِ الذي عليه تستقرُّ نفوسُ المؤيَّدين، والطَّرَفانِ اللَّذانِ في الوسَطِ يَمنةً ويَسرةً دليلٌ على التالي والنَّاطِقِ، اللَّذين أحَدُهما صاحِبُ التركيبِ، والآخَرُ صاحِبُ التأليفِ، أحَدُهما مقابِلُ الآخَرِ، والطَّرَفُ القائِمُ دليلٌ على السابقِ الممِدِّ لجميعِ الحروفِ. والشَّهادةُ سبعةُ فصولٍ، كذلك الصَّليبُ أربعُ زوايا وثلاثُ نهاياتٍ، وللزوايا الأربعِ والنهاياتِ الثلاثِ دليلٌ على الأئمَّةِ السَّبعةِ في أدوارِهم، كما دلَّت الفصولُ السَّبعةُ في الشَّهادةِ على أئمَّةِ دورِ ناطقًا عليه السلام، وكلِّ طرفٍ منها له ثلاثةُ أطرافٍ، تكونُ الجملةُ اثني عشرَ، كذلك الشَّهادةُ اثنا عشرَ حَرْفًا... وكما أنَّ الشهادةَ إنما تكمُلُ عند اقترانِها بمحمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كذلك الصليبُ إنما شَرُفَ بعد أن وُجِدَ عليه صاحِبُ الدور»!

الإسماعيليَّةُ يُبطِلون معجزاتِ الأنبياءِ، ويُنكِرون النبوَّاتِ، لكِنْ ليس بالتصريحِ بل بتأويلاتٍ مُلْتَويةٍ لقَصَصِ الأنبياءِ، مع تَجريدِ النبيِّ من أيِّ معجزةٍ مادِيَّةٍ، والنبوَّةُ عنده دورٌ من الوحيَ؛ لذا هي لم تنقطِعْ بل تستمرُّ في الأوصياءِ والأئمَّةِ، وبين كُلِّ نبيٍّ ونبيٍّ أئمَّةٌ ستَّةٌ، السَّابِعُ فيهم هو النبيُّ، وذا الدَّورُ مستمرٌّ من لَدُن آدَمَ إلى القيامةِ، وللإمامِ أن يَنسَخَ شريعةً من قَبْلِه، ويُسَمُّون الأنبياءَ بالنُّطقاءِ،

وآخِرُ النُّطَقاءِ محمَّدُ بن إسماعيلَ، أي: هو آخِرُ الأنبياءِ!

تقول الإسماعيليَّةُ بتناسُخ الأرواح «وقد اتَّفقوا عن آخِرِهم على إنكارِ القيامةِ... وقالوا: إنَّها خروجُ الإمام وقيامُ الزَّمانِ، والسَّابعُ هو النَّاسِخُ للشرعَ المغيِّرِ للأمرِ، أمّا المعادُ فأنكروا ما جاءَ به الأنبياءُ، ولَم يُثبِتوا الحَشْرَ والنَّشْرَ للأجسادِ، ولا الجنَّةَ ولا النَّارَ، ولكن قالوا: معنى المعادِ عَودُ كُلِّ شَيءٍ إلى أصلِه، وزعموا أنَّ نُفوسَ المعاندينَ لمذهَبِ الإسماعيليَّةِ تبقى أبَدَ الدَّهرِ في النَّارِ، على معنى أنَّه تبقى في العالَمِ الجُسمانيِّ تتناسَخُها الأبدانُ، فلا تزالَ تتعرَّضُ فيها للألمِ والأسقامِ، فلا تفارِقُ جسدًا إلاّ ويتلقَّاها آخَرُ!

ومعنى الصَّلاةِ والزكاةِ عندهم: محمَّدٌ وعليٌّ، فمَن تولَّاهما فقد أقام الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ... والخَمرُ والميسِرُ اللذان نهى الله عن قُرْبِهما هما أبو بكرٍ وعُمَرُ! لمخالفتِهما عليًا... ثم يُقال له: (المدعوُّ الجديدُ) هل تحِبُّ أن تدخُلَ الجنَّةَ؟... فيذهب به الداعي (الإسماعيليِّ) إلى زوجتِه ليبيتَ معها... فإذا خرج المخدوعُ (المدعو) من عندها (زوجةِ الداعي)، تسامَعَ به أهلُ هذه الدَّعوةِ الملعونةِ، فلا يبقى منهم أحَدٌ إلاّ وبات مع زوجةِ المخدوعِ (المدعو)، كما فعل هو مع زوجةِ الدَّاعي...».

نظرتُهم للمرأةِ هي نوعٌ من أنواعِ المسخِ الذي يصيبُ غيرَ المؤمنِ، فهي كالحَيوانِ؛ لأنَّها مجرَّدةٌ عن وجودِ النَّفسِ الناطِقةِ؛ لذا يعتَقِدون أنَّ نُفوسَ النساءِ تموتُ بموتِ أجسادِهنَّ؛ لعَدَمِ وُجودِ أرواحٍ خاصَّةٍ بهنَّ.

لذا يستبيحونَ الزِّنا بنِساءِ بَعْضِهم بعضا؛ لأنَّ المرأةَ لا يَكمُلُ إيمانُها إلاّ بإباحةِ فَرْجِها إلى أخيها المؤمنِ!

وفي ذاك اشترطوا ألَّا يباحَ ذلك للأجنبيِّ، ولا لِمَن ليس داخِلًا في دينِهم.





أثَرُ الحركاتِ الباطِنيَّةِ في واقِعِ المسلمين:

منذ أن قامت هذه الحركاتُ الباطِنيَّةُ وهي لا تبغي إلاّ الإطاحةَ بالخِلافةِ الإسلاميَّةِ، والعودةَ إلى أمجادِ آبائِهم المجوسِ بإعلانِ الإمامةِ الشيعيِّةِ، وهنا لا ينفصِلُ الخطرُ الدِّينيُّ عن السياسيِّ، فلا قِوامَ لديانتِهم ونِحْلَتِهم بدون قيامِ دولتِهم، فالحركةُ الباطِنيَّةُ الشيعيَّةُ «عبارةٌ عن دعايةٍ خَفِيَّةٍ مُستترةٍ أكثَرَ ممّا هي مقاوَمةٌ مكشوفةٌ، وهذا ما جعَلَها مخالِفةً لغيرِها مِنَ

الفِرَقِ، وهي دعايةٌ يحيطُ بها جوٌّ من الأسرارِ، وتغشَاها أساليبُ المكرِ والمراوغةِ».

واختراقُها لكثيرٍ من الطوائفِ جعَلَهم يبثُّون عقائِدَهم بينَهم؛ حتى ظهر رؤوسُ الفلاسفةِ المتصوِّفة، كالحَلَّاج، وابن عربيٍّ، والسَّهروردِيِّ، والبسطاميِّ، والتلمسانيِّ، وهؤلاء ممّن جَهَروا بما لم يَفُهْ به فمٌ؛ فقال الإمامُ الذهبيُّ عن كتاب ابنِ عربيٍّ «الفصوص»: وكلُّ كُتُبِه تحتَمِلُ التأويلَ ما عدا «الفصوص»، فإن كانَ ما فيه ليس بكفرٍ، فليس في الدُّنيا كُفرٌ!...»، وكانت جماعةُ إخوانِ الصفا تضمُّ في صفوفِها: «أبا إسحاق الصَّابي الحَرَّاني، وهو من عبَدَة النجوم الصَّابئة، ويحيى بن عدي النصراني؛ رئيسَ أساقفةِ الكنيسةِ اليعقوبية، وماني المجوسي، وأبو سليمان المنطقي السجستاني الإسماعيلي، فما الذي يجمَعُ هؤلاء، ويدعوهم إلى تأليفِ مجمَعِ سرِّي؟!»، أليس نموذجا حيًّا لتقارُبُ الفِرَقِ والأديانِ؟ شياطينُ يُوحِي بعضُهم لبعضٍ زُخرُفَ القولِ غرورا، تحزّبوا ليرمُوا الإسلَامَ رَميةَ رجُلٍ واحدٍ، ويمكُرونَ ويمكُرُ اللهُ، واللهُ خيرُ الماكِرينَ!

وترتّب على بزوغِ قَرنِ الفتنةِ الباطِنيَّةِ ثوراتٌ واضطراباتٌ متلاحِقةٌ أحدثتْ فوضى عارمةً، خاصَّةَ حالَ ما قامت لهم دويلاتٌ هنا وهناك، فدَيْدَنُهم (تصدير الثورة) والدَّعوةُ لمبايعةِ الإمام، فطلع على أفرادِ الأمّة آفاتٌ لم يَدْرُوا لها أصلاً، وصار المرءُ لا يأمَنُ جارَه ولا أخاه، وسَرَت الإباحيَّةُ في عقول الشَّباب كالطاعون، فلم يؤتَمَنْ عازبٌ في قريتِه، بل في بيتِ أبيه، وفُتّت انعدامُ الثقةِ عُرَى الوَحدةِ الاجتماعيَّةِ والدِّينيَّةِ، فالحركةُ الباطِنيَّةُ استغلّت الفقرَ والفاقةَ التي كانت ببعضِ النَّاسِ في الخلافةِ، فعمِلَت على إشباعِ شَهَواتِهم ممّا يطلبون بدونَ حدٍّ، فسهُل انقيادُهم، وصاروا مصدرا للرُّعبِ والقَلَقِ بجماعاتِهم من المرتزِقةِ القَتَلَةِ، فلا يدري الأميرُ مِن حَرَسِه مَن هو معه ومَن عليه، ولا يعلَمُ الأبُ إن كان رأسُه سيُقطَعُ بيدِ أيِّ الوَلَدين له! وفي ذلك الزَّمَن وتلك المحنة، قَدُم عدوٌّ من أوروبا، فوجد الأرضَ تمورُ بأهلِها، والقومُ لا يدرون الصَّدِيقَ من الزِّنديق، ولما غزا التتارُ الأرضَ كانوا لهم سندا وراحوا يسفِكون دماء أهل السُّنَّة؛ فأبادوا العُلماءَ وذُرِّيَّتَهم، حتى أبكوا علينا اليهودَ والنَّصارى، وما أشبه الليلةَ بالبارِحةِ! فعمليَّاتُ الاغتيالِ والاختطافِ وإعدامِ عُلَماءِ السُّنَّة في عِراقنا، غالِبُها فُضِحت فيما بعدُ، وكان الجناةُ من الشِّيعةِ أذنابِ إيرانَ، ومن الفيالِقِ العَميلةِ للحَرَسِ الثوريِّ الإيرانيِّ، بل وزارةَ الداخليَّةِ العِراقيَّةِ رَأسِ عمليَّاتِ التعذيبِ والتصفياتِ، وكلُّها من الشِّيعةِ، وتلك الأيَّامُ يُداوِلُها الله بين النَّاسِ، فما يُحكى أن... وقع، وكأنَّ... الفِكر هو هو، والحِقد هو هو، غير أنَّ الشُّخوصَ تغايرت،

إي وربِّي، فهؤلاء نَسْلُ أولئك، وعلى سيرتهم يسيرون؛ فقديما والأمَّةُ تذودُ عن حِياضِها ضدَّ التَّتار والصَّليبيين، ناصَر الباطِنيَّةُ الغُزاةَ، واغتالوا العلماءَ والأمراءَ والقادةَ العَسكريين؛ ليُفسِحوا الأرضَ للغُزاة، ممّا أربَكَ الصَّفَّ الإسلاميَّ، ولمَّا احتلّ الإنجليزُ أراضي إسلاميَّةً من الهندِ إلى مصر كانوا عونًا لهم، بالفتاوى المبطِلةِ للجِهادِ، كفتاوى الأغاخانية بالهند، والبَهَرَة في باكستان، والبهائية والبابية في الشَّام، والصَّفَوية في العراق

زِدْ على خطتهم الحاليَّةِ في الامتدادِ البَشَريِّ في مناطقِ السُّنَّةِ وجميع القُرى والمُدُن المجاورة، وهذا في سوريا، والمملكة السعودية، والكويت، والبحرين، فهم يتمركزون في مناطِقَ إستراتيجيَّةٍ حسَّاسة للأمْنِ القوميِّ!

وأسوَأُ الآثار التي ترتّبت في طُلوعِ قَرنِ الباطِنيَّةِ الشِّيعةِ من العراق هو انقِسامُ العالَمِ الإسلاميِّ إلى فئتين؛ الأولى: تقاتِل على جبهتين خارجيَّةٍ وداخليَّةٍ، وهي عامَّةُ السنةِ،

والثانية: تحالفُ النصارى والتَّتارَ للفَتْكِ بأهلِ السُّنَّةِ، وبعد أن كان للمسلمين خليفةٌ واحد صار لهم أئمَّة شُرَكاءُ مُتشاكِسون، بل يثيرونَ النَّعراتِ الطائفيَّةَ سِرًّا، ويجهَرونَ بتوحيدِ الصَّفِّ علنًا، (هَٰأَنتُمْ أُوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) ، فهم حُلَفاءُ النصارى من أيام بني العبَّاسِ أيامَ الحُروبِ الصَّليبية، وأيامَ الحُروبِ البوشيَّةِ إلى يومِنا هذا.

وهذا ما فعَلوه مع المقاومةِ الفلسطينيَّةِ واللُّبنانيَّةِ السُّنِّية لَمّا دخلت القواتُ النُّصَيريَّةُ لبنانَ، فقد دَكُّوها أولًا، وجعلوا جُثَثَ أهلِ السُّنَّةِ فرجةً في قنواتِ الإعلام[٤٣]، وما أشبَهَ الليلةَ بالبارِحةِ!

ختامًا:

ممّا يجبُ أن ينتَبِهَ عليه أهلُ الإسلام أنَّ الباطِنيَّةَ الإسماعيليَّةَ ما زالت ليَومِنا هذا، ولا زالوا على عقائِدِهم وحِيَلِهم في استدراجِ الأتباع، كانوا وما زالوا عَضُدًا لكلِّ غازٍ يَهتِكُ بالمسلمين من التَّتارِ إلى الصَّليبيين، إلى الإنجليزِ الذين ناصَرَهم رأسُ الإسماعيليَّةِ بالهند أغاخان، وهم الآن بسوريا ولبنان، ويزحفون بنشاطِهم نحوَ الدُّوَلِ العَرَبيَّةِ والمناطِقِ الإسلاميَّةِ التي يخبو بها نَشاطُ دُعاةِ السُّنَّةِ، بتَشجيعٍ مِن الدَّولةِ الخُمَينية التي ما فَتِئوا ينصاعون لَها؛ فالدعوةُ الإسماعيليَّةُ الباطِنيَّةُ سَهمٌ مَسمومٌ يرادُ غَرْزُه في جَسَدِ العالمِ الإسلاميِّ، وهم يتوغَّلون في بلادٍ إفريقيَّةٍ وآسيويَّةٍ عديدةٍ؛ مثل: كينيا، وأوغندا، وسيلان، وبورما، ولهم مراكِزُ ضَخمةٌ هناك.

بل سَرَى نشاطُهم إلى الولاياتِ المتَّحِدةِ الأمريكيَّةِ خاصَّةً بين الزُّنوجِ المسلمين.

ولك أن تعلمَ أنَّ هذه الدَّعوةَ مَنْبَتُها من الفلسفةِ، بل رؤوسُها كلُّهم فلاسفةٌ؛ لذا كبارُ مَن صَنَّفوا من (فلاسفة المسلمين)، هم من الباطِنيَّةِ، وكبارُ أنصارِ الفلاسفةِ مِن العَرَبِ إمّا عقلانيُّونَ على مَذهَبِ الاعتزالِ، أو ملاحِدةٌ شيوعيُّون، أو شِيعةٌ، والشِّيعةُ هم من تغلَّبَ فيهم؛ لأنها توافق أذواقَهم وترسُّباتهم العَقَديَّةَ، ومِيراثَهم الفِكريَّ، ومن أهَمِّ الدُّعاةِ العَرَبِ للفِكرِ الباطنيِّ الإسماعيليِّ في الآونةِ الأخيرةِ: مصطفى غالب، وعارف تامر، ويُعَدّان من المدافعين عن الإسماعيليَّةِ، معتبرين دورَها فعَّالا في الفِكرِ الحضاريِّ، بل الأوَّلُ من أكبَرِ الناشِرين لكُتُبِ الفَلْسَفةِ، والمادِحينَ للحَرَكاتِ الثَّورية الباطِنيَّةِ الشِّيعية، بل صَنَّفا كتبًا للدِّفاعِ عن القرامِطةِ والحَشَّاشين، وجعلاها في مَصافِّ الحركاتِ الثَّوريَّةِ التي أرادت إنشاءَ «المجتَمَعِ الاشتراكيِّ المثاليِّ»، ولعَلَّهما يريدانِ المجتَمَعَ الشيوعيَّ المزدكيَّ، وهنا لم يخطِئْ أحدٌ في الحكم؛ إذ الاشتراكيَّةُ الشيوعيَّةُ رَبيبةُ المزدكيَّةِ المجوسيَّةِ الإباحيَّةِ.

فالواجبُ المنوطُ بالعُلَماءِ وطَلَبةِ العِلمِ فَضْحُ هؤلاءِ، وبيانُ كُفرِهم وضلالِهم، وحِيَلِهم في التصنُّعِ للعامَّةِ، والتملُّقِ للخاصَّةِ، فالجَهلُ بهم صار مُطبقا، حتى بين مَن يتزعَّمون التياراتِ السياسيَّةَ الإسلاميَّةَ، فما بالُك بالعامَّةِ الذين تأخذ بلبّهم زخارفُ القولِ، ودعاوى الإعلام؛ من شعاراتِ توحيدِ الصَّفِّ، والتآلُفِ بين المسلمين، والتطلُّعِ لِمُقاومةِ العَدُوِّ الخارجيِّ، وتنميقِ الشخصيَّاتِ الشِّيعيَّةِ، حتى أعلن بعضُ قادةِ الأحزابِ الإسلاميَّةِ السُّنِّية عن أحَدِ قادةِ الشِّيعةِ أنَّه مجدِّدٌ للعَصرِ، وقُدوةٌ للشَّبابِ؟! وهذه هي الطَّامَّةُ الكبرى، إذا أصبحَ مَن يُكفِّرُ الصَّحابةَ قُدوةً للشبابِ المسلِمِ، فعَظُمَ على المسلمين مُصابُهم، وغُيِّبَ عنَ الوَعيِ شبابُهم، فأصبح في عُنُقِ كلِّ داعيةٍ أمانةُ توعيةِ المسلمين وشبابِ المسلمين من الأخطارِ الدَّاهمة التي ذاق المسلمون ويلاتِها في القديمِ والحديثِ. وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل.

والسَّلامُ على مَن اتَّبَع هدْيَ الإسلامِ، وسُنَّةَ سَيِّدِ الأنامِ، وهَدْيَ صَحْبِه الكِرامِ.



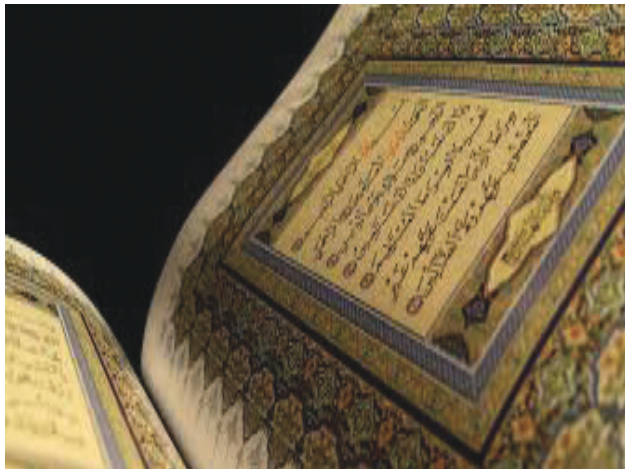
اليهود في القرآن الكريم

كتابة : د.علي أبو غنيم

يلفت النظرَ حديثُ القرآن الطويل عن اليهود، فعشرات الآيات وعشرات القصص في عشرات السور تتحدث عن عنادهم وفسادهم وكيدهم وكفرهم وكذبهم ونقضهم العهود والمواثيق وعدائهم للمؤمنين وغير ذلك، كل ذلك لقطع الطريق على من يحاول تحسينَ صورتهم والتدليسَ على الناس بقلب حقائقهم ويدعو إلى إعادة صياغة العلاقة معهم لتصبح علاقة طبيعية.

- إني وجدت القرآن الكريم يتحدث عن اليهود بوساطة ثلاثة أمور: تاريخهم وصفاتهم وعاقبتهم.

- فمن الآيات التي تتحدث عن تاريخهم: قوله تعالى في سورة النساء: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ



عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٥٣ - ١٦١].

- ومن صفاتهم المذكورة في القرآن الكريم: أنهم يعرفون الحق ويكتمونه ويتواصون بذلك فيما بينهم {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٧٦] {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦]. ومنها أنهم

يأكلون أموال الناس بغير حق من ربا واحتيال وخداع بشتى صوره واليهود هم سادة العالم في ذلك {وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٢] {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤]. ومنها خيانتهم للعهود والمواثيق وتحريفهم الكلام عن مواضعه، وهم الذين يقولون لا توجد وعود مقدسة {أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ١٠٠] {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٤٦]. ومنها الإفساد في الأرض فهم أكثر الشعوب في العالم إثارة للمشاكل {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤] {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [الإسراء: ٤]. ومنها قتلهم الأنبياء وقتلهم العلماء والدعاة وخيرة الناس {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران: ١٨١].

- وأما عاقبتهم كما جاءت في آيات القرآن: فالغضب الإلهي والذلة والمسكنة {... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١] والتفرق والعداوة فيما بينهم {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة: ٦٤] والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة {ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة: ٨٥].

والحمد لله رب العالمين







سفينـة النجاة

الشيخ نجيب أبو شاهين

أَمِنَ الزمان وصرفه ترتاع ؟
وبراحتيك مهندٌ وشراع !
فلكل بحر للنجاة سفينة
ولكل فلك للرياح شراع
فأجبتها والنار مِلء جوانحي
ظهر الفساد وساءت الأوضاع
وطن يئن ويشتكي من طغمةٍ
ويسود فيه الظلم والإقطاع
وطن المزارع سهله وجباله
هل أعجبتكم أيها الزُّرّاع
وطن توزع كالأضاحي أرضه
وبلا حياء يُشترى ويباع
وطن المعارف والعلوم وشمسه
نور لكل مواطن وشعاع
وطن الجمال ومن جمال سعوده
الماء والخضراء والإبداع
مرت به الحرب العجاف وكلهم
عما يُدبّر صُمّت الأسماع
والعود أحمد للورى أولى أرى
ما ناله الزعماء والأتباع
إلا عوار والمعار لأهله
ما دام في ساح النضال سباع

نشيدها حمراء لاهية اللظى
تشوي الوجوه وحرّها نزّاع
فهناك أطفال تناضل دائما
هنا شباب صُيّع وضياع
وهناك شعب مُثخن بجراحه
وهنا صغار رُضّع وجياع
وهناك طفل ثائرٌ لا ينثني
وهنا شباب خائف ورُعاع
فهناك جيل لا ينام على أذى
وهنا أيامى عجز ترتاع
الله أكبر مُذ تركنا قولها
عند اللقاء تضعضع الإيقاع
وتصاغرت عند القتال نفوسنا
ونصيبنا في المتحف الإيداع
حتى تكون لكل جيل عزة
للثائرين تحية ووداع
حتام نصبر والضياع يلفنا
وتنالنا الآلام والأوجاع
إن الهبوط من السماء نصيبنا
وشعارنا عن حقنا الإقلاع
ستظل أبطال الحجارة ثورة
وسلاحها الإيمان والمقلاع



حياتي في حجابي

كتابة :صفاء لولو

آراء متباينة إنتشرت على وسائل التواصل الإجتماعي، مع إقتراب الأول من فبراير/ شباط لإحياء اليوم العالمي للحجاب،

وجدير بالذكر أنه تم الإحتفال لأول مرة باليوم العالمي للحجاب في عام ٢٠١٣، بعد أن أطلقت الفكرة «ناظمة خان» المقيمة في ولاية نيويورك الأمريكية، إثر تعرضها للعديد من المضايقات والمشكلات بسبب إرتداء الحجاب في أمريكا. و يتوقع المراقبون مشاركة الكثير من السيدات في العالم في إحيائه في عامه السابع، و منظمة اليوم العالمي للحجاب في صفحتها بالفيسبوك، دعت لفهم الديانات ودعم التفاهم بينها بوساطة دعوة النساء غير المحجبات من المسلمات وغير المسلمات لارتداء الحجاب الذي ليس موجودا في الإسلام فقط، بل هو موجود بكل الشرائع السماوية بما في ذلك التوراة والإنجيل . وتتمثل مهمة اليوم العالمي للحجاب بخلق عالم أكثر سلمية، يحترم فيه المواطنون بعضهم الآخر، كما يؤكد هذا اليوم ضرورة مكافحة العنصرية والتمييز والإنحياز ضد المرأة، بحسب ما أعلنته المنظمة في صفحتها.

و بهاشتاغ FreeinHijab ، إنطلقت الحملة التي لاقت إقبالا كبيرا بمشاركة عدد كبير من النشطاء بمواقع التواصل الإجتماعي، في حين قابله هاشتاغ مضاد بعنوان FreeFromHijab الذي دعا لخلع الحجاب والتحرر منه. و هذا ما أثار جدلا كبيرا بين من تبنوا مقولة إخلعي حجابك فالإيمان بالقلب وليس بالمظاهر، و من واجههم بالدعوة إلى التمسك بلبس الحجاب، و هكذا تتضح أن المحاولات العديدة تزداد يوما بعد يوم لسلخ المجتمعات المسلمة و تجريدها من أي مظاهر إسلامية، بل و إنتزاع كل ما يميزها سواء بسن القوانين مثل فرنسا أو بالدعوة إلى خلع الحجاب بمثل حملات إخلعي الحجاب ما لم تقتنعي به ، مما دفع إلى الرد بحملة «لا تلمس حجابي» نظمتها المحجبات الفرنسيات .

و الحجاب في اللغة العربية معناه السِّتر ومنع الوصول إلى المطلوب. أما في الشرع يطلقه أهل العلم على كل ما يستر المرأة من جدار أو باب أو لباس ويمنع الرجال من الإطلاع على مفاتنها وزينتها مصداقا لقوله تعالى: (ولا يُبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها) وقوله تعالى: (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب).

و الرأي الراجح لجمهور الفقهاء يقول بوجوب اللباس الشرعي على كل إمرأة مسلمة بالغة وعاقلة، والشاهد على ذلك حسب أهل العلم قوله تعالى في سورة الأحزاب (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنِينَ عليهن من جلابيبهن..) ويرى العلماء أن القصد من هذه الآية هو غطاء الرأس وشده عند الرقبة واللباس الفضفاض .

فكان من الواجب معرفة رد المسلمات على هذه الهجمة وما هو شعورهن عندما إرتدين الحجاب ؟ وماذا يمثل لهن ؟؟

و من المعلوم أن عددا كبيرا من السيدات ممن يرتدين الحجاب، لا يمثل لهن أي مشكلة ولا يمنعهن من ممارسة حياتهن الطبيعية، وهو ما أكدته لمى - خريجة علوم سياسية



وإدارية – التي قالت: «الحجاب لا يمثل لي أي عائق أبداً.. فأنا أستطيع ممارسة العديد من الأنشطة التي تمارسها غير المحجبات، مثل الرياضة والسباحة وغيره. كما لم يكن مانعا النساء والفتيات في بلاد المسلمين أن يتفوقن في كثير من مجالات تخصصهن، أن الحجاب في معناه الحقيقي، إمرأة مسلمة راقية السلوك مطمئنة النفس تعرف هدفها وطريقها وتسعى جاهدة في الحياة لكل ما فيه خير ونفع لنفسها وبيتها ومجتمعها، وهي تزين ذلك كله بحجابها وسترها لأنوثتها، إنها منظومة من العفاف والعطاء والتقوى ولوحة متكاملة لأفضل صورة ممكنة للمرأة، والحجاب هو إطار الصورة التي يبرزها ويحافظ عليها.

وعن العوائق التي واجهتها في العمل بالحجاب في دولة أوروبية، تحدثت هبه، أنها تعرضت لبعض المضايقات في بداية عملها في ألمانيا، مشيرة إلى أنه تم رفضها للعمل في أحد المستشفيات هناك على الرغم من كفاءتها. مما جعلها تتسأل أين مزاعم إحترام الحريات الشخصية في الغرب !!!فقد كان شرط قبولها للعمل هو خلع الحجاب داخل المستشفى، وهو ما رفضته على حد قولها. لذا لمن يدعي أن حجاب المرأة أو الفتاة أنه تقييد لها ولحريتها وأنه عادة قديمة، وأنه السبب في تخلف المرأة وعدم نجاحها في الحياة، وأنه إستبعاد لها وعزلها عن العالم وأن الإسلام جاء ليقيد حقوق المرأة ، لهؤلاء أقول : إن الحقيقة كلها عكس ذلك تماما، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء ليحرر المرأة من العبودية ومن النظرة الدونية التي يريدون أن يرجعوا المرأة اليها . فالله سبحانه وتعالى أعلى من شأن المرأة وحررها من أغلال الجاهلية، فأعطاها الحق في الحياة وزادها شرفا وطهرا بعد أن كانت عارا و ولادتها تورث المذلة والمهانة وصدمة من هولها يعجز والدها عن الكلام ولا يستطيع مواجهة الناس.

و لمن يدعي أن الحجاب سبب تخلف المرأة المسلمة فإن أمل- معلمة – وجهت السؤال هل كان خروج المرأة في الغرب ولباسها الفاضح سببا في تطورها وحصولها على براءات إختراع وإكتشاف وتطور للأمم؟ أم أن أغلب من إشتهرت منهن كن من المغنيات والممثلات وعارضات أزياء ليس إلاّ، فهل هذا هو الرقي الذي تطمح إليه المرأة المسلمة ؟ إن الفطرة السليمة تنفر من إنكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها، فالذين يحاولون التسويق لخلع

الحجاب أو كشف العورات وإظهار المفاتن لجسد المرأة أمام الرجال إنما يحاولون تشويه الفطرة الإنسانية، فالمرأة بفطرتها تحب السترة والحياء ولكن الإعلام دائماً ما يحاول بث السموم في العقول بمصطلح الحرية، ويجب أن نكون له بالمرصاد عن طريق توضيح المفاهيم الشرعية لحفظ المجتمع . قال تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ».

أما مهند – مهندس الكترونيات – فقد رد على تلك التي خلعت حجابها على وسائل التواصل الإجتماعي ثم في اليوم التالي بدأت بحملة على الحجاب !

والى الوزيرة الفرنسية التي قالت إنها لا تحتمل رؤية إمراة محجبة في الشارع! وإلى التنويريين الذين نشروا بين المسلمين فكرة أن الحجاب ليس فرضا! لكل هؤلاء أقول في شمال العراق إحتفلنا بحجاب ١٣٥٧ فتاة.. وتابع أنت أيها العلماني لو كنت صادقا في علمانيتك لدافعت عن حق المسلمات في إرتداء حجابهن، لأنك تعلم أن الحجاب طاعة وعبادة ولأنك تعلم أن حظر الحجاب إنتهاك لحقوق الانسان وحريته في ممارسة معتقداته في اللباس وغيره.

و عن سؤالنا أجابت نرمين – مربية أطفال - «كنت أول وأصغر بنت تتحجب في العائلة» وبدأ الجميع يلقبني بالشيخة فقلت: ليس مهماً ما تنادوني به «شيخة ...شيخة» لكن المهم أن أرضي ربي، أما نظرات المجتمع فقد ظلت تلاحقني أينما ذهبت فمن يقول لي: يا حبيبتي لماذا؟ ما زلت صغيرة على الحجاب! أقول: التدين ليس له سن وهو أمر الله..فيقولون:الله يزيدك إيمانا.. كما أن الدعوة إلى الله تعالى ليست محصورة بأناس معينين و لا تقتصر على توزيع شريط أو كتيب، فالصغير والكبير يستطيع أن يدعو إلى الله عزّ و جلّ، ومن هذا المنطلق أردت أن أثبت أن الدعوة بالأفعال قد تكون أعلى صوتاً من الأقوال ، و إستطعت إقناع صديقاتي وقريباتي اللواتي في مثل سني بارتداء الحجاب وبالتالي فقد أصبحت خطرا يهدد العائلة بعد أن إنتشر الحجاب بسببي وبدأوا يحذروننا من محاولة إقناع المزيد من الفتيات بهذا الفكر الإرهابي المتطرف كما وصفوه !.. و أنا لا أمزح هذا ما حدث أقوله لكم بكل صدق لتعرفوا المعاناة التي يلاقيها كل من المؤمنة أو المؤمن عند الدعوة إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. و إلى التي لم تتحجب بعد خوفاً من السخرية أو لأنها ترى أن هناك من المحجبات مما يشوه صورة الحجاب ولا يتبعن الأخلاق الإسلامية، إليها أقول : عزيزتي الفتاة لا تستمعي لكلام أحد ولا تهتمي بسخرية أحد، وإستمعي فقط لأمر خالقك، وتذكري أنك ستقفين بمفردك أمام الله يوم القيامة فتندمين أشد الندم على كل لحظة عصيتِ فيها الله ، وعندها سوف تعضين أصابع الندم وتقولين:

(يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا).

ثم إستمعنا إلى رأي أحمد – طالب جامعي – الذي قال : الحجاب يمثل وقار و رزانة المرأة، غير أن من المأسوف عليه أيضا ما وصلت إليه الحال مع بعض بنات المسلمين اللائي يدعين إرتداء الحجاب، فقد أضحى الحجاب عندهن لا يتعدى وضع شيء على الرأس، بينما المقصود بالحجاب هو إلتزام المرأة شروط اللباس الشرعي، أما هذه الصورة الممسوخة للحجاب كما هو لدى بعض الفتيات المسلمات فهي مرفوضة شرعا. والأصعب أن ترى مثل هذه المظاهر في بيوت بعض الفضلاء الدعاة والصالحين بدعوى الإنفتاح على العالم وعدم الإنغلاق. لذلك أرى من الضروري الوعي وإرشاد القوامين على تلك الفتيات حتى يرجعن إلى الإلتزام الشرعي المفروض من اللباس و غيره .

أما عبير – ربة منزل- فقالت : (أنا تحجبت

قبل أن أكمل عامي الثاني عشر)، وكان جسدى نحيلاً وصغيرا و كنت أبدو أصغر من سني، ولا أخفيكم القول كان قرار الحجاب هو أصعب قرار إتخذته فى حياتى ، و إذا سألتموني لماذا؟ سأجيبكم:الحقيقة أنه لا توجد إمرأة في العالم لا تحب إظهار جمالها ومفاتنها، هكذا خلقها الله.. وإن أسعد لحظة في حياة أية امرأة هي حينما تسمع من المحيطين بها إطراءً أو إعجابا بجمالها وأناقتها، لذلك فحين تؤمر بإخفاء هذا الجمال فهذا هو إختبار صعب فعلا، ولكني وضعت رغبتي الداخلية في كفة ورغبة الله وأمره في كفة أخرى ووقفت أمام المرآة وقلت لنفسي: اللهم إني أشهدك أني أخفي أنوثتي و جمالي إبتغاء مرضاتك.. ثم إرتديت الحجاب وأنا سعيدة وفخورة أني إنتصرت على نفسي، خصوصا وأن النفس أمارة بالسوء، وإنتصرت على شيطاني عندما نفذت أول أمر إلهي في تلك السن، وأحسست بطاقة نور تشع من وجهي وأنا بالحجاب.. وهنا أذكر ما واجهته كان إختباراً صعبا للغاية، فقد حوربت من الجميع، وكان عليّ أن أحارب في جبهتين:الأولى جبهة عائلتي التي كانت تمانع منعا باتا في إرتدائي الحجاب، والثانية:المجتمع كله الذي كان يرفض تماما إرتداء طفلة للحجاب ويراه تزمتا خصوصا في وقت لم يكن الحجاب فيه منتشرا مثل الآن.

وفي لقاء حفل تكريم لمحجبات قال الدكتور أمجد قورشة: محجبات ! مبارك عليكن إرتداء العفة في زمن التفلت والفتن وهو أكثر بكثير مما كان في زمننا، مبارك عليكن أن تكون المحجبة طائعة لله ولله فقط، بينما الأخريات يتوهمن أنهن حرات، ولكن عملياً إنهن ليست حرات، فواحدتهن قد عصت أمر الله ثم سلمت نفسها لإله آخر هو شهواتها كاتباع الموضة الفرنسية أو الغربية وغيرها. و الحجاب ليس رمزاً إسلامياً وليس عادة عربية بل هو أمر إلهي، وحكم شرعي وعبادة تؤجر عليها من تطيع و تلتزم بها. والحجاب هو كلمة عرفية وليس مصطلحا قرآنيا، لذلك علينا أن نقول إرتدت اللباس الشرعي (جلباب وخمار)، حتى نقطع على المتطرفين حجتهم بعدم ذكر كلمة حجاب في القرآن الكريم، و هو لباس الهدف منه الحفاظ على خصوصية وراحة المرأة المسلمة، وأن تعامل على أساس شخصيتها وإنسانيتها وليس بناءً على جسدها. و نحن نعلم أن الله سبحانه و تعالى خلق الرجل وأكثر ما يشده في المرأة جسدها، و لكن الله سبحانه طالب الرجل بغض البصر مثلما طالب المرأة بالتستر، إذن لكل واجبه وعند التقصير يصبح مقصرا في أداء واجبه الشرعي و معرضا للحساب أمام الله سبحانه و تعالى .

و في الختام لايسعني إلاّ أن أشدُ على إزر كل من يدافع عن الحجاب ويؤديه على الشكل الواجب شرعاً ونذكر بأمرين:

الأول هو السؤال الهام في الحياة (لماذا أحيا ؟) هل نحيا لنتزوج أو نتجمل أو نعجب الآخرين فحسب، أم لنرضي ربنا ونتبع أمره ونهيه ونتوكل عليه تماما، وبالتالي كنساء نلتزم بالهدى الظاهر والباطن للحجاب ونمارس الحياة كإماء لله سبحانه وتعالى لا نبغي إلاّ رضاه.

أما الأمر الثاني الذي يجب أن يشغل كل واحد منا رجالا و نساءً فهو هل يمكن الإرتقاء بنفوسنا وتنمية شخصياتنا ومحاولة العثور على أجوبة لأسئلة الحياة. حين نفعل ما يستقر يقيننا عليه وتمتلأ نفوسنا به ثراء وخصوبة ويزيد شخصياتنا قوة وجاذبية وإحتراما، و بالنسبة للمرأة المؤمنة نقول : ثقي أنه سيحبك الناس ويلتفون حولك ويتمناك الشاب الصالح زوجة وشريكة للحياة وأما للأبناء، لأنك جديرة بالثقة وناجحة وباعثة على الإطمئنان، وسينعكس جمال نفسك وسكينة روحك على صفحة وجهك فلا تحتاجين مساحيق الزينة ولا وسائل التجميل الخارجي .

أغاليط القرآن اللغوية بدعة السفهاء الشيطانية

كتابة : الأستاذ أحمد بشتاوي

- نوَّن الممنوع من الصرف

س ١٢٤: وجاء في سورة الإنسان ٧٦: ٤ (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً). فلماذا قال سلاسلاً بالتنوين مع أنها لا تُنوَّن لامتناعها من الصرف؟



الجواب : سلاسلاً ليست من أوزان الأسماء الممنوعة من الصرف الخاصة بصيغة منتهى الجموع. وأوزان الأسماء التي على صيغة منتهى الجموع هي:

(أفاعل – أفاعيل – فعائل – مفاعل – مفاعيل – فواعل – فعاليل) مثل: أفاضل – أناشيد – رسائل – مدارس – مفاتيح – شوارع – عصافير.

ويمنع الإسم من الصرف في صيغة منتهى الجموع بشرط أن يكون بعد ألف الجمع حرفين، أو ثلاثة أوسطهم ساكن:

١- مساجد: تمنع من الصرف لأنها على وزن مفاعل (صيغة منتهى الجموع) ولأن بعد الألف حرفين.

٢- مصابيح: تمنع من الصرف لأنها على وزن مفاعيل (صيغة منتهى الجموع) ولأن بعد الألف ثلاثة أحرف أوسطهم ساكن.

وقد قرأت سلاسل بدون تنوين على لغة من لغات أهل العرب التي تصرِّف كل الأسماء الممنوعة من الصرف في النثر، أو أن تكون الألف المنونة في سلاسلاً بدلاً من حرف الإطلاق. (الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ١٦٧)

وكذلك جاء في سورة الإنسان ٧٦: ١٥ (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا) بالتنوين مع أنها لا تُنوَّن لامتناعها عن الصرف؟ إنها على وزن مصابيح.

الجواب : لو رجعتم للمصحف لعرفتم أن قواريرا غير منونة، فهي غير منونة على قراءة عاصم وكثيرين غيره، ولكن قرأ الإمامان النحويان الكسائي الكوفي، ونافع المدني قواريرا منصرفة ، وهذا جائز في اللغة العربية لتناسب الفواصل في الآيات.

٢١- تذكير خبر الإسم المؤنث

س ١٢٥: جاء في سورة الشورى ٤٢: ١٧ (اللهُ الذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ). فلماذا لم يتبع خبر لعلَ إسمها في التأنيث فيقول قريبة؟

الجواب : خبر لعل هنا محذوف لظهوره البيِّن تقديره لعل حدوث الساعة قريب.



وفيه أيضا فائدة وهي أن الرحمة والرحم عند العرب واحد فحملوا الخبر على المعنى. ومثله قول القائل: إمرأة قتيل. ويؤيده قوله تعالى: (هذا رحمة من ربي) فأتى إسم الإشارة مذكرا. ومثله قوله تعالى: (والملائكة بعد ذلك ظهير).

وقد جهل المعترض بأن المذكر والمؤنث يستويان في أوزان خمسة :

١ – (فعول): كرجل صبور وإمرأة صبور.

٢ – (فعيل): كرجل جريح وإمرأة جريح.

٣ – (مفعال): كرجل منحار وإمرأة منحار أي كثير النحر.

٤ – (فعيل): بكسر الميم مثل مسكين، فنقول رجل مسكين، وإمرأة مسكين.

٥ – (مِفعَل): بكسر الميم وفتح العين. كمغشم وهو الذي لا ينتهي عما يريده ويهواه من شجاعته. ومدعس من الدعس وهو الطعن.

٢٢- أتى بتوضيح الواضح

س ١٢٦: جاء في سورة البقرة ٢: ١٩٦ (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) . فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة كاملة تلافيا لإيضاح الواضح، لأنه من يظن العشرة تسعة؟

الجواب : إن التوكيد طريقة مشهورة في كلام العرب ، كقوله تعالى: (ولكن تَعْمَى القلوب التي في الصدور) [الحج ٤٦] ، وقوله تعالى: (ولا طائرٌ يطير بجناحيه) [الأنعام ٣٨]، أو يقول قائل سمعته بأذني ورأيته بعيني ، والفائدة فيه أن الكلام الذي يعبر عنه بالعبارات الكثيرة ويعرف بالصفات الكثيرة، أبعد عن السهو والنسيان من الكلام الذي يعبَّر عنه بالعبارة الواحدة ، وإذا كان التوكيد مشتملاً على هذه الحكمة كان ذكره في هذا الموضع دلالة على أن رعاية العدد في هذا الصوم من المهمات التي لا يجوز إهمالها ألبتة.

وقيل أيضاً إن الله أتى بكلمة (كاملة) لبيان الكمال من ثلاثة أوجه: أنها كلمة في البدل عن الهَدْىَ قائمة مقامه ، وثانيهما أنها كاملة في أن ثواب صاحبه كامل مثل ثواب من يأتي بالهَدْىَ من القادرين عليه، وثالثهما أنها كاملة في أن حج المتمتع إذا أتى بهذا الصيام يكون كاملاً، مثل حج من لم يأت بهذا التمتع.

وذهب الإمام الطبري إلى أن المعنى (تلك عشرة فرضنا إكمالها عليكم، إكمال صومها لمتعتكم بالعمرة إلى الحج، فأخرج ذلك مخرج الخبر).



بالأدب تنال الإرب

كتابة : الشيخ د .إبراهيم الغزاوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اليوم أتحدث لكم في هذه السلسلة الأدبية عن عامل مهم من أقوى أسباب النجاح وأدوم أحوال الصلاح ألا وهو كتمان السر، فاستعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره ، قال بعض الحكماء لإبنه : يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والخجل بمكتوم السّر.

وقال بعض الأدباء : من كتم سرّه كان الخيار إليه ، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وكم من إظهار سرّ أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه، ومن كتمه كان من سطوته آمناً، ومن عواقبه سالماً ، ولنجاح حوائجه راجياً.

قال أحد الحكماء : من حصّن سرّه، فله بتحصينه خصلتان : الظفر بحاجته، والسلامة من السطوات، وإظهار الرجل سرّ غيره أقبح من إظهار سرّ نفسه، لأنه يبوء بإحدى وصمتين : الخيانة إن كان مؤتمناً، أو النميمة إن كان مستودعاً، أما الضرر فربما إستويا فيه ، أو تفاضلا وكلاهما مذموم ، وهو فيهما ملوم.

وفي الإسترسال بإبداء السّر دلائل على أحوال ثلاثة مذمومة :

أولاً ضيق الصدر وقلة الصبر، حتى إنه لم يتّسع لسرّ ولم يقدر على صبر،

وثانياً الغفلة عن تحذر العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء، فانفرد بسّرك ولا تودعه حازماً فيزل أو جاهلاً فيخون.

و ثالثاً ما إرتكبه من الغرر وإستعمله من الخطر فسرك من دمك إذا تكلمت به فقد أرقته.

ومن الأسرار ما لا يُستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم وإستشارة ناصح مسالم ، فليختر العاقل لسره أميناً إن لم يجد إلى كتمه سبيلاً، وليتحر في إختياره من يأتمنه عليه ويستودعه إياه ، فليس كل من كان على الأموال أميناً كان على الأسرار مؤتمناً،

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : القلوب أوعية الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها ، فليحفظ كل امرىء مفتاح سره.

ومن صفات أمين السرّ : أن يكون ذا عقل صادّ، ودين حاجز، ونصح مبذول ، وودّ موفور، وليحذر كثرة المستودعين لسرّه، فكثرتهم سبب الإذاعة وطريق الإشاعة،

وقال بعض الحكماء : كلما كثرت خزان الأسرار إزدادت ضياعاً.

ويجب على مستودع الأسرار أداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسي له، حتى لا يخطر له ببال ولا يدور له في خلد، ثم يرى ذلك حرمة يرعاها ، ولا يدل إدلال اللئام.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.



الواطنة و السؤولية الفاعلة : الهوية، الوطن، الدين

بقلم: الدكتور نادر جميل جمعة
كاتب من لبنان

جاء في القاموس المحيط : الوطن منزل الإقامة، و وطن به يطن و أوطن : أقام. و أوطنه و وطنه و استوطنه : اتخذه وطناً[١]. وعلى ذلك ظهر مصطلح الاستيطان في الأرض أي اتخاذها وطناً، ومهما تعددت الاجتهادات اللغوية و الفكرية في فهم الوطن فإنه يبقى مرتبطاً بالإقامة في أرض محددة قد تفرضها ظروف الحياة و الانتقال و العمل .

والمواطنة اصطلاحاً: هي علاقة متبادلة بين الأفراد والدولة التي ينتمون إليها ويقدمون الولاء لها، ليتحصلوا على مجموعة من الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.[٢] وجاء في دائرة المعارف البريطانية: المواطنة هي علاقة بين الفرد والدولة يحددها قانون الدولة بما تتضمنه من حقوق وواجبات.[٣]

يرتبط مصطلح المواطنة موضوعياً بمصطلحات : الوطن و المواطن و الوطنية؛ فالوطن هو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، ويتفاعل معه حياتياً و وجدانياً. إنه الأرض المحددة في جغرافيتها السياسية بعدما صار للدولة مفهوم و محددات قانونية و سياسية . و لا يمكن قيام دولة ما بدون أرض محددة، وهو ما اصطلح على تسميته بالإقليم الذي يعد عنصراً عضوياً في تكوين الدولة؛ هذا الإقليم المحدد هو الوطن أو الموطِن[٤].

إلا أن مصطلح المواطن أصبحت له دلالات سياسية و قانونية مع تطور فكرة الدولة و



الأنظمة السياسية و الدستورية[٥]. فالمواطن : صفة الشخص الذي يتمتع بكامل حقوقه المدنية و السياسية (التمتع بحق التصويت) في الدولة التي يحمل تابعيتها[٦].

و المواطنة قانونياً : يمكن تحديدها بأنها التمتع بالحقوق المدنية المرتبطة بالجنسية، و يراد بذلك حالياً حق التصويت في الانتخابات السياسية، حق الترشيح، ممارسة الحريات العامة المتعلقة بالمشاركة السياسية و تولي الوظائف العامة في أجهزة الدولة[٧].

في الأصل يرتبط مفهوم المواطنة بالديمقراطية في حين أن ملكيات (النظام القديم) في فرنسا و امبراطوريات الصين و الهند و أمريكا قبل كريستوف كولومبوس لم تعرف

سوى رعايا محكوم عليهم بالطاعة .

و مع المدن الديمقراطية في اليونان القديمة في القرنين الرابع و السادس قبل الميلاد ظهرت فكرة المشاركة في «الشيء العام» كما ظهر تمجيد المواطنة من جديد مع الثورتين الأميركية و الفرنسية القائمة على أساس (الحرية، العدالة، المساواة، والإخاء)[٨]؛ و بما أنه لا يمكن للفرد أن يمارس وطنيته و مواطنيته إلا داخل دولة، من هنا كانت الدولة ضرورية لنمو الإنسان و تطوره فبدون الدولة لا يستطيع أن يبلغ ذروة الكمال. و يذهب أرسطو إلى أن الدولة أتت إلى الوجود أولاً كي يمكننا أن نعيش، ولكنها استمرت في الوجود، لكي يمكننا أن نعيش معيشة سعيدة[٩]، ثم إن معرفتنا بالدولة تستلزم التمييز بينها وبين المجتمع :

إن الدولة ليست متوحدة مع المجتمع، ويلاحظ أرنست باركر أن المجتمع و الدولة يستهدفان تحقيق نفس الغرض الأخلاقي، ومن ثم فهما يمتزجان ويستعير كل منهما من الآخر، و يذهب إلى أن مجال المجتمع هو التعاون الاختياري، و أن نشاطه يقوم على الإرادة الطيبة، و أن منهجه يعتمد على المرونة، في حين أن مجال الدولة هو العمل الآلي، و أن نشاطها يقوم على القوة و أن منهجها يتصف بالجمود[١٠].

ففي حين ذهب الفلاسفة و المفكرون الإغريق إلى التوحيد بين الدولة و المجتمع، وذلك لأسباب و ظروف خاصة بتلك العصور، فإنه لا يمكننا أن نسلم اليوم بهذا التوحيد نظراً لأن الدولة كما ينظر إليها اليوم ما هي إلا عبارة عن نظام سياسي، فهي مجتمع منظم تنظيماً سياسياً.

و إن الدولة هي جزء من المجتمع، ولكنها ليست شكلاً للمجتمع، فهي أكثر من عدد من الأفراد صادف أنهم يعيشون سوياً ولكنهم مترابطون ترابطاً مفككاً، وإنما هي عدد من الناس مجتمعين سياسياً و منظمين في شكل من



أشكال الحكومات، و يشكلون جزءاً معيناً من سطح الأرض، ويمارس المجتمع سلطته إلى حد كبير بوساطة التقاليد، أما الدولة فتمارس سلطتها بوساطة القوانين التي تشرع وتطبقها الحكومة وبالقوة إذا اقتضى الأمر، وهي الوحيدة التي تستطيع استعمال القوة بأسلوب شرعي وليس كذلك المجتمع[١١].

علاقة الدولة بالأمة :

تقوم بين الدولة و الأمة علاقة ارتباط وثيقة، فوجود الأمة في دولة معينة يشد أواصر هذه الدولة و يرسخ وحدتها و يحفظها من العوامل الطاردة و المفككة، كما أن انتظام الأمة في دولة يعمق تجربتها و يزيد من تلاحمها[١٢].

أسبقية الدولة على الأمة :

و خير مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أقيم الاتحاد بين مناطق تسكنها مجموعات من السكان جمعتها في البدء روابط معينة؛ إلا أن توسع الاتحاد و الهجرة الدائمة كانا يخلان دوماً بالاندماج القائم، إلى أن قرر الكونغرس غداة الحرب العالمية الأولى وقف

سيل الهجرة. على أن الوحدة لم تفقد يوماً بشكل نهائي بسبب وجود النواة الأساسية التي أصبحت أنكلوساكسونية، و التي عملت باستمرار على طبع المهاجرين المتدفقين بطابعها، و فرضت عليهم أسلوباً في العيش .

أسبقية الأمة على الدولة:

تولد الأمة في هذه الحالة نتيجة تطور تاريخي يجعل شعبها يمر بتجارب مشتركة تولد فيه عوامل الانصهار و الاندماج و التوحد، ثم تأتي الدولة لتتوج هذا التطور الطويل كما حصل بالنسبة إلى إيطاليا و ألمانيا و ألمانيا و بولونيا كما هو مطروح بالنسبة للأمة العربية من وجهة نظر العاملين على توحيدها .

الإسلام و المواطنة :

منذ نشأ الإسلام جمع بين الدين و السياسة، فالرسول صلى الله عليه و سلم هو مؤسس الدين والدولة، و قد كانت بيعة العقبة الأولى بيعة دينية للرسول صلى الله عليه و سلم، أن يؤمنوا بالله و رسوله، بينما كانت بيعة العقبة الثانية سياسية .

فقد كان النبي هو الذي يصلي بالناس في المسجد و كان إماماً للدين و في الوقت نفسه إماماً للسياسة، و كان يقضي بين الناس و يقود الجيوش و يعقد المعاهدات و يقوم بكل الإجراءات[١٣]. و عندما وصل الرسول إلى المدينة كتب كتاباً بين سكانها من المسلمين و غيرهم تضمن جملة من المواثيق و العهود بين المهاجرين و الأنصار باعتبارهم أمة واحدة من دون الناس؛ في مقابل القبائل اليهودية من سكان المدينة باعتبارهم أمة واحدة من دون الناس.

ففي هذه الصحيفة تمايز واضح بين أمة الدين (المسلمين)، و الأمة السياسية (المسلمون و اليهود) باعتبارهم أمة سياسية مفتوحة للأجيال القادمة قال تعالى : (و الذين جاؤوا من بعدهم) الحشر ١٠.

وظل هذا التمايز واضحاً في سلوك النبي حتى إذا اختلط الأمر أحياناً بين ما هو ديني و سبيله التقيد و الإلزام وما هو سياسي وهو مجال للاجتهاد، عمد الرسول إلى تبيين ذلك و توضيحه بقوله: (أنتم أعرف بأمور دنياكم)[١٤]. و الشيخ الطاهر بن عاشور فصل تفصيلاً جيداً بين ما سماه (مقامات النبي) إذ للنبي مقامات، فإذا كان في مقام النبوة فهذا مقام التلقي والطاعة، و أما إذا كان في مقام قائد الجيش و السياسة فقد يختار للجيش موقعاً و يأتي صحابي ليقول له : والله أرى أن هذا الموقع أفضل و بالفعل يتنازل النبي عن رأيه ويأخذ برأي هذا الصحابي[١٥].

الدين و الحيز العام :

إن الدولة دائرة كبرى تعيش في كنفها جماعات بشرية متنوعة (إثنياً و ثقافياً و اجتماعياً ولغوياً) لها خصوصيات؛ فإذا كان الإنسان (الأمة) أسبق من الدولة، فإن العقد الاجتماعي الذي يمكن أن يكفل بناء الدولة و ديمومتها، من البديهي أن يقوم على مبادئ عامة يمكن أن تضمن المشتركات الإنسانية العامة و أن تحمي الخصوصيات الدينية و الثقافية للمجتمعات لذلك عندما دخل النبي المدينة عمد إلى كتابة الصحيفة الدستورية التي نصت في بنودها السبعة و الأربعين على حقوق الأفراد و الجماعات؛ و ضمنت الحريات العامة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية تحت سقف السيادة للنبي محمد صلى الله عليه و سلم بوصفه رئيس الدولة.

فقد جاء في البند الأول من الصحيفة : هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين و المسلمين من قريش و أهل يثرب و من تبعهم ولحق بهم و جاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس[١٦]؛ وفي هذا النص تظهير للهوية الدينية التي شكلت عناصر الانتماء المعنوي أو الروحي للمسلمين كأمة متمايزة من بقية

الجماعات الدينية التي تسكن يثرب في ذلك الوقت، ثم عمد الرسول بعد ذلك إلى التأكيد على حقوق الجماعات الأخرى المخالفة في الدين والعقيدة معتبراً أنها تمثل مع المسلمين الأمة السياسية للجماعة (الدولة) و المجتمع الذي أقامه الرسول في يثرب.

لذلك جاء في البند رقم (٢٥) : أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين؛ لليهود دينهم و للمسلمين دينهم، مواليهم و أنفسهم إلا من ظلم و أثم فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه و أهل بيته[١٧].

و في البند رقم (٣٧) : و أن على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم؛ و أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ و أن بينهم النصح و النصيحة، و البر دون الإثم[١٨].

و في البند رقم (٤٠) : و أن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم[١٩].

هذا وقد دخل النبي إلى المدينة بإنسانيته، و قد لحظ في وثيقة المدينة هذه الخصوصيات، و أقام معاهدة قائمة على المواطنة و حماية الخصوصيات الدينية؛ مؤكدة حفظ الأمن للجميع عندما يتهددهم عدو خارجي، و يتشاركون في مقدرات المدينة بحرية تامة[٢٠].

و أعتقد أن المشكلة الأساسية في إيجاد الفواصل بين الأديان و المذاهب، إنما هي في العصبية التي تختزل الانتماء الديني في عناوين و دوائر عصبوية تنغلق على نفسها و تنفصل عن أي مشترك مع الآخر؛ بينما المطلوب أن نراعي النسبة بين العقيدي و العملي، لأن العقيدة التي تمثل المنهج الذي ينبغي أن يحفز السلوك نحو قيم محددة، و لا قيمة للإنسان إذا لم يتمظهر بالعمل الصالح، الذي يبني الحياة و يحفظها من قوى الشر الذاتية و الخارجية[٢١].

وإذا كان الفكر الإسلامي قد رفع أولوية الأمة و أقرها انطلاقاً من الالتزام بالدعوة و الدفاع عن كيان الأمة، فإنه التزم في الوقت عينه حقيقة التوازن الذي يجب أن يتحقق بين الفرد و الجماعة؛ وهو توازن في المصالح بحيث لا يتم سحق مصالح الفرد لحساب مصالح الجماعة، و لا التضحية بالمصلحة الجماعية في سبيل المصلحة الفردية[٢٢].

ومن استعراضنا لنصوص الوثيقة الدستورية في المدينة نستخلص بعض الحقوق المتعلقة بالغير المخالف بالدين كمواطن في دولة المدينة

١ – لم يمنع الإسلام مخالطة غير المسلمين في مجتمع واحد .

٢- أهل الكتاب هم في منزلة المسلمين بالنسبة لرد العدوان الخارجي .

٣- أهل الكتاب في موقع الحماية من أي ظلم داخلي يطاول أنفسهم و أموالهم و أعراضهم .

٤- إنفاق مال بيت مال المسلمين على الفقراء و المساكين لا يقتصر على المسلمين وحدهم .

٥- يتولى أهل الذمة وظائف عامة على ألا تكون متعلقة بأمور العقيدة .

٦ – حرية المعتقد مصونة في إطار احترام الكرامة الإنسانية .

بين الأنا و الغير :

« هذه الأشكال من حضور الماضي في عملية التفكير في المستقبل هي التي نقصد بعبارة (المستقبل الماضي)، عندما نقول إن كل تفكير في المستقبل الآتي لا بد أن يستعيد بصورة أو بأخرى (المستقبل الماضي) كحافز أو موجه أو معبئ محمد عابد الجابري[٢٣]

غير أن التفكير العلمي في المستقبل إذ ينطلق من الملموسات، فإنه في الحقيقة لا يتحدد بها وحدها، و ذلك لأنه إذا كان «الأنا» لا يتحدد بوساطة الغير، سواء تعلق الأمر بالفرد أو بالجماعة، فإن أي مشروع للمستقبل يبنيه الإنسان لنفسه لا بد من أن يؤخذ فيه فعل الغير بعين الاعتبار بصورة واعية أو لا واعية فعل «الآخر» أو ردود فعله: « آخر اليوم و «آخر» الغد، ذلك لأنه إذا كان الإنسان اجتماعياً بطبعه

فإن مستقبله مثل حاضره مشترك بطبعه أيضاً.

ومن هنا يجب أن ننظر إلى التفكير بالمستقبل على أنه، في جزء منه، عبارة عن محاولة ترمي إلى إعادة ترتيب العلاقة مع «الآخر»، مفرداً كان أو جمعاً، بل يمكن الذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، و الزعم بأنه لولا وجود الغير لما كان هناك تفكير في المستقبل.

فنحن إنما نفكر في المستقبل لأن شيئاً ينافسنا في حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا أو يتقدم علينا، و بعبارة أخرى يتحدى هدوءنا و سكينتنا و غفلتنا، نوعاً من التحدي، ويمكن القول مع أرنولد توينبي : «إن الحضارات هي وليدة التحدي الذي يواجه الشعوب و الأمم»[٢٤].

الحلم اللبناني:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها و بعضهم أسفلها، و كان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم؛ فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً و لم نؤذ من فوقنا؛ فإن تركوهم و ما أرادوا هلكوا جميعاً؛ و إن أخذوا على أيديهم نجوا و نجوا جميعاً «رواه البخاري.

وربطاً بما وصفناه بالحلم اللبناني نستذكر ما حدث في أمريكا، ففي بدايات القرن العشرين نظرت مجموعة من الأدباء و المفكرين و السياسيين في أمريكا لما عرف (بالحلم الأمريكي)، الذي بدأ فكرة و تجسد مشروعاً سياسياً و اقتصادياً و اجتماعياً في أمريكا القرن العشرين، و كمثال يعكس و يترجم ذلك الحلم يمكن أن نستحضر انتخابات الحزب الديمقراطي الذي كان يستعد لخوض الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٨ في الولايات المتحدة الأمريكية .

فالحزب الديمقراطي وهو الأكثر عدداً حينها، ويضم المنتخبين السود و إسبانيي اللغة و المعلمين عامةً و الكاثوليك و الفقراء .... الخ. وكان واضحاً أن ترشيح مايكل دوكاكيس لمنصب الرئاسة الأولى لا مفر منه، إلا أن هذا الأخير كان يخشى ترشيح جيسي جاكسون لمنصب نيابة الرئيس خوفاً من نفور أصوات البيض، وفي الوقت نفسه كان دوكاكيس يخشى استعداء أصوات السود، وهي التي تشكل قوة الحزب الديمقراطي، فينقسم الحزب ويفشل فشلاً ذريعاً ضد الجمهوريين.

ففضل دوكاكيس منعاً من المغامرة اختيار (بنتسن) الشيخ الذي يمثل ولاية تكساس اعتقاداً منه أن ولايات الوسط ستوفر لهما المزيد من الأصوات، وهكذا، وبين أخذ و رد وصلنا إلى عشية المؤتمر العام للحزب في تموز ١٩٨٨ في أتلنتا (جورجيا)، والخوف قد بلغ أشده من خروج جيسي جاكسون و المندوبين المحازبين له (وكانوا أكثر من ربع المندوبين) من قاعة المؤتمر، و كانت لحظات كلها تشويق تلك التي سبقت اعتلاء القس جاكسون المنصة لإلقاء خطابه.

وكان مما قاله : (أنا أسود لا أعرف من هو أبي ولدتني أمي في أفقر الأحياء، وقد تعذبت و ترعرت في الشقاء و البؤس، وهذا كله لأن أجدادي قد استقدموا إلى هذه البلاد من إفريقيا بعد أن تم شراؤهم عبيداً، و بعد أن قاسوا الأمرين بالتجديف في المراكب التي جاءت إلى شواطئ أمريكا، و أنا أعرف تمام المعرفة اليوم أن لنا حقوقاً لن نتنازل عنها؛ لكننا اليوم سنفتش عن قواسم جامعة ومشتركة لكي نكمل الطريق معاً؛ لأننا كلنا قررنا أن ما يجمعنا هو الحلم الأمريكي).

و جاء دور دوكاكيس فقام و توجه علناً إلى والدته وقال : (كم كنت أود يا والدتي أن يكون المرحوم والدي معنا كي يرى ابنه مايكل وقد بلغ ما بلغ ..... فهو قد قدم من اليونان و معه بضعة دولارات في جيبه و يجهل الإنجليزية،

فاشتغل و تعب وقاسى ما قاساه ليربينا؛ وها أنا اليوم مرشح للرئاسة الأولى في هذه البلاد ..... و يا أيها القس جاكسون أريدك أن تعرف أن المركب الذي جاء فيه أجدادك هو نفسه المركب الذي حمل والدي إلى هذه البلاد، والمهم بيننا أن نتحد دائماً لكي لا يغرق المركب، لأن المركب هو جامع بيننا كما أن هذه البلاد قد أمنت لنا إمكانية التقدم سوية؛ هذا هو الحلم الأمريكي الذي يتيح لي ولك فرصة بلوغ القمم)[٢٥].

أعتقد أننا في لبنان سواء أكان ذلك في القرن التاسع عشر أو في القرن العشرين أو الحالي، قد عانينا الأمرين من الحروب و المتاجرة بالغير، بوالي عكا و بوالي الشام، بالأمصار القريبة والبعيدة، كما عبرت من بلادنا الجيوش و الحضارات والثقافات و الانقسامات..... أفلا يجدر بنا أن نتطلع سوية إلى ما يجمع بيننا رغم الصعوبات التي تشوب تركيبتنا السياسية و الدستورية؟ أليس من الأجدر بنا أن نعرف أن لبنان قادر على توفير المادة الدسمة لحلم لبناني قائم على الحريات و تعايش الأديان و تنوع الثقافات و التنافس على ما هو الأرقى من أجل توفير التطور الاقتصادي و المبادرات الفردية و الجماعية و التقدم الاجتماعي في دولة رائدة ذات دور فريد من نوعه في الشرق الأوسط؟![٢٦]

[١] الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، بيروت، دار الفكر، ص١١١٦.
[٢] علاء الدين جنكو،»المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة»، ص٣٢-٣٣.
[٣] Citizenship-www.britannica.com.
[٤] الدكتور عدنان السيد حسين، «المواطنة»، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ٢٠١٣، ص١٥.
[٥] السيد حسين، ن.م، ص١٥-١٧.
[٦] الدكتور أحمد سعيفان، «قاموس المصطلحات القانونية والسياسية والدستورية»، بيروت، دار العلم للملايين، ص٣٧٧.
[٧]أحمد سعيفان، «قاموس المصطلحات»، م.س، ن.ص.
[٨] ن.م، ص٣٧٧.
[٩] محمد عبد المعز نصر، «في النظريات والنظم السياسية»، بيروت، دار النهضة العربية، ص١٠.
[١٠] محمد عبد المعز نصر، م.س، ن.ص.
[١١] ن.م، ص١١-١٢.
[١٢] الدكتور محمد طي، «القانون الدستوري»، مكتبة الجامعة، ٢٠٠٢، ص٧١.
[١٣] الشيخ راشد الغنوشي، «الدين والدولة في الوطن العربي»، ص١٠١ وما بعدها.
[١٤] ن.م، ص ١٠٤.
[١٥] ن.م، ن.ص.
[١٦] الدكتور محمد حميد الله، «مجموعة الوثائق السياسية للعهدين النبوي والراشدي»، بيروت، دار النفائس، ص٥٩.
[١٧] ن.م، ص٦١.
[١٨] ن.م، ص٦٢.
[١٩] ن،م، ن.ص.
[٢٠] السيد جعفر فضل الله، «حرية الصلب....والأسبقية للدولة أو للإنسان»، في سلسلة: الحرية الدينية، مؤسسة أديان، ص١٢١.
[٢١] ن.م، ص١٢٠.
[٢٢] عدنان السيد حسين، «المواطنة»، م.س، ص٣٠.
[٢٣] الدكتور محمد عابد الجابري، «مسألة الهوية: العروبة والإسلام والعرب»، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص٨٩.
[٢٤] الجابري، م.س، ص٩٠ وما بعدها بتصرف.
[٢٥] الدكتور إبراهيم النجار، «لبنان وآفاق المستقبل»، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩١، ص٣٥-٣٧.
[٢٦] ن.م، ن.ص، بتصرف



إلى روح الرجل ...الرجل

سماحة مفتي زحلة و البقاع الغربي العل امة الشيخ خليل الميس رحمه الله

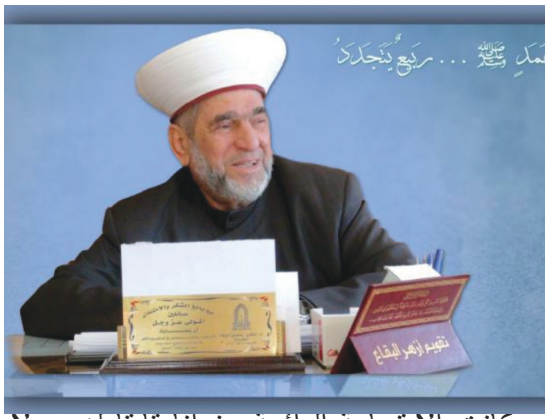
كتابة: أ. كمال أبو علي

لن أتكلم عن علومه و فلسفته و ورعه، فهذه أمورأتركها للعلماء، و سأقصر كلمتي على صفاته الإنسانية، و قد شرفني الله منذ خمسة عشر عاماً أن أكون أحد أفراد أسرتيّ أزهر البقاع، و صندوق الزكاة في البقاع، و بالتالي أحد أفراد أسرته الخاصة، و كنت بشكل يومي قريباً من سماحته، فعرفت فيه و منه كيف تكون الرجال . ففي صفاته الجسدية كان رحمه الله طويل القامة، ضخم الجسد، قوي البنية، أسمر البشرة، أنيق المظهر، ثابت الخطى، ثاقب النظر.

و في صفاته الإنسانية كان خلقه القرآن الكريم ، و قدوته محمدٍ رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد كان زاهداً في الدنيا، يعيش عيشة البسطاء، و يتصرف بعقلانية و حكمة، و لا يغضب إلّا لله، و كان غيوراً على دينه، و أبناء جلدته، حاملاً همومهم، و ساعياً إلى حل مشاكلهم، و لا يخشى في الله لومة لائم، و قد كان محباً للعلم و العلماء، و يقدّر أصحاب المبادرات و يأخذ بأيديهم .

و سماحته رحمه الله قاريء نهم، لا يدع كتاباً إلّا و يطلع عليه، و كان يهتم بمجالس العلم، و هو عميق التفكر، دقيق الملاحظة ، موهوب بالفراسة، و يتمتع بذاكرة قوية تظهر معالمها في أقواله و طلاقة لسانه.

و سماحة المفتي كان شهماً ذا أريحية، متميزاً من جوده و لطفه و عطفه و تواضعه و رقة إحساسه، و هو ناكر لذاته متسامح، يجالس الملوك و الزعماء و العلماء و المثقفين و البسطاء. أما ذوو الحاجة فكان يعامل كلاً منهم بالإسلوب نفسه من الترحيب و كرم الضيافة،



و كانت الابتسامة الدائمة عنوانا ثابتا له. و لا يخرج محتاج من مكتبه إلّا و قد حصل على طلبه، فما دخل عليه صاحب حاجة إلّا و نال من عطفه و اهتمامه و خرج راضياً مسروراً.

إن سماحة مفتي زحلة و البقاع الشيخ خليل الميس هو مؤسس الأزهر و مؤسسات دار الفتوى، و قد أعطاها كل وقته، و بذل من أجلها كل جهده، و في الدوام الرسمي كان أول الواصلين و آخر المغادرين دوماً. و قد عُرف عنه أنه كان يتابع أدق تفاصيل العمل بكل جدّ و نشاط ، و غالباً ما يبادر إلى المشاركة حتى بأعمال التنظيف، و هو لا ينسى الفكاهة و التسلية و رقة التصرف و الضحك ليسبغ على الجميع الأنس و البهجة .

و باختصار كان سماحة المفتي الشيخ خليل الميس قدوةً و نموذجاً قلّ نظيره. فليتغمده الله سبحانه و تعالى بواسع رحمته و يجعل مكانه الجنة .



موت الضمير وغياب العدالة في حرب و حصار غزة

كتابة : انغيز أبوبكر
كاتب من المغرب



كيف يمكن الحديث عن عدالة دولية و عن مؤسسات دولية تسهر على إحقاق القانون الدولي و تحافظ على السلم الدولي ، في ظل مشاهد مروعة من حرب و حصار غزة ؟ هل ما يزال مجلس الأمن الدولي ذو جدوى أو معنى في ظل غيابه بل تغييبه عن إصدار قرارات وإجراءات فورية لردع العدوان وإقرار الحق الإنساني الذي يجب أن يعلو ولا يعلى عليه ؟ أليس من الضروري اليوم بل أليس من الأمور المستعجلة اليوم قبل الغد ، إصلاح منظومة الأمم المتحدة وإصلاح مجلس الأمن الدولي الذي لا يحافظ اليوم إلا على أمن و مصالح الدول القوية و المدججة بالأسلحة ؟

إن العدوان على غزة و حصارها المستمر فضح الدول المسيطرة على مجلس الأمن والتي لم تستطع إصدار بلاغ لا يقدم ولا يؤخر نصرة للعدالة الدولية ودفاعا عن حقوق الإنسان في حرب غزة التي إنتهك فيها القانون الدولي الإنساني ببشاعة . و إكتفت كثير من دول العالم الكبرى و المتقدمة بالتعبير عن قلقها و إستيائها وشجبها للموقف . و لكن أي موقف ؟؟

إن مشاهد أشلاء الأطفال الأبرياء العزل في غزة، و المباني المدمرة على رؤوس ساكنيها من قبل الصواريخ الصهيونية وإستهداف المنابر الإعلامية و الصحفيين والمستشفيات تنعي الضمير الإنساني الدولي الى مثواه الأخير و تعبر عن إنتكاسة أخلاقية دولية لا مثيل لها . و ربما نختلف مع أسلوب حماس و الجهاد الإسلامي في أساليب المقاومة وفي أيديولوجياتها و إرتباطاتها الإقليمية والدولية وقد نعتبر صواريخها عبثية و تجلب الدمار والهلاك لأهالي غزة وقد نتفق مع من يعتبر مقاومتهما العنفية وأسلوبهما في التصدي للإحتلال الصهيوني فيه نقاش بل جدال، وقد نقول بغير ذلك عن حماس والجهاد، وهذه كلها مناقشات مشروعة عندما تثار و لو أختلف بشأنها، ولكن من الثابت أن كل مقاومة لأي إحتلال مشروعة وضرورية و لا بديل عنها لاسترجاع الحقوق المغتصبة ، وهل تحررت كل بلدان من مستعمريها إلاّ بالمقاومة ؟ و لهذا نقول المقاومة الفلسطينية للإحتلال الصهيوني مشروعة بموجب القوانين الأرضية والسماوية، وموقف الحياد بين الصهاينة و الفلسطينيين هو إنحياز واضح وصريح للظلم والعدوان وإستباحة



دماء الأبرياء. وعندما نسمع رئيس فرنسا ومستشارة المانيا و رئيس الولايات المتحدة يدينون صواريخ حماس وقذائف الجهاد الإسلامي و يسكتون، بل يتغاضون بفضاضة عن صواريخ الكيان الصهيوني و غارات طائراته الأمريكية الصنع اف ١٦ و اف ٣٥، فتلك مواقف مخجلة و لاإنسانية ومتحاملة وتعبر عن إفلاس الضمير العالمي و سيطرة المصالح الإقتصادية والإعتبارات النفعية على المواقف الإنسانية .

ان العدوان الصهيوني على أطفال ونساء غزة سيكون بلا شك إيذانا ببداية حقبة عصيبة في العالم حيث سيعطى للإرهاب حججا للظهور مجددا على الساحة الدولية وسيقوي قوى التطرف والظلامية في العالم، ويسجل التاريخ من جديد للاسف الشديد ان القوى الدولية "الليبرالية والديموقراطية والعلمانية" إنحازت إلى مواقف لا ديموقراطية ولا إنسانية في حرب عدوانية ضد شعب أعزل بل شعب أسيرمن العرب المسلمين و المسيحيين، لم يجدوا من يساندهم في العالم، و كيف سيقنع الحداثيون والديموقراطيون والعلمانيون أطفال غزة و حتى أبناء الضفة بأن أمريكا و المانيا وفرنسا وبريطانيا حريصون على تحقيق دولة فلسطينية مستقلة قابلة للحياة و هم يرون بأنفسهم العالم "الديموقراطي الغربي"يخذل غزة و يميل كل الميل نحو الكيان الصهيوني أعتى قوة عسكرية في المنطقة؟؟ .

والصراع العربي – الصهيوني في نظري المتواضع لا يمكن أن ينتهي إلا بإستعادة الحق العربي في فلسطين ، و التيارات العنصرية الصهيونية جد واهمة إذا إعتقدت أن بإمكانها إجتثات و تذويب الشعب الفلسطيني و تغيير هويته و إقصاء تاريخه، ومن الوهم إكثر أن تعتقد أن القوة العسكرية والتفوق الإستخباراتي و التكنولوجي الصهيوني تكفي وحدها للقضاء على الشعب الفلسطيني، وشخصيا أعتقد أن الشعب الفلسطيني ومقاومته يجب أن تعرف وتعي جيدا بأن قيام الدولة الفلسطينية لا يكون إلا باسترداد الفلسطينيين لعناصر القوة في قرارهم وهذه العناصر هي :

إستقلالية القرار الفلسطيني المقاوم في السلم والحرب عن المحاورالإقليمية، وقبل كل هذا وذلك يجب ألا ننسى أن الدول العربية والإسلامية في معظمها ضعيفة مهزومة ينخرها الفساد ، و الظلم ويسود فيها الطغيان، و ينطبق عليها مقولة عنترة بن شداد "العبد يكر ويفر" .

إن الحرب على غزة أسالت الكثير من الدماء، وخلقت العديد من المواجع والآهات للشعب الفلسطيني، لكنها في الوقت نفسه كشفت للعالم أجمع أن الرهان على المؤسسات الدولية هو نتيجة من موقف الضعف والإستجداء و هو وهم في وهم، وإن المستقبل هو للعلم والتكنولوجيا و توازن القوى، الذي سيمكن من إستعادة الحقوق للشعوب و كذلك يفرض الأمن و السلم الدوليين، وان الدول والشعوب الضعيفة المستضعفة لامكان لها في القرار الدولي. و أن العدالة والأمن من نصيب الأقوى .



الحق في الحياة

كتابة : الدكتور خالد جراح
أستاذ جامعي من لبنان

نصت المادة الثالثة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أن («لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه»). وقررت المادة الرابعة من الإعلان نفسه أنه («لا يجوز إسترقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الإسترقاق وتجارة الرقيق بكل أوضاعهم»).

كما نصت الفقرة الأولى من المادة السادسة من الإتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية أن («لكل إنسان الحق الطبيعي في الحياة، ويحمي القانون هذا الحق، ولا يجوز حرمان أي شخص من حياته بشكل تعسفي»). وجاء في الفقرة الخامسة من نفس المادة أنه («لا يجوز فرض حكم الموت بالنسبة للجرائم التي يرتكبها أشخاص تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاماً كما لا يجوز تنفيذه بامرأة حامل»).

إلا أن الحق المطلق الذي أعطي للإنسان يستتبعه موانع واستثناءات تفرضها قوانين وضعية وشرعات سماوية من أجل استمرار مسيرة الحياة، وإزالة المعوقات وعوامل الإضطراب التي تصيب المجتمع ومن أبرز هذه الاستثناءات الإجهاض والإعدام والقتل الرحيم.

الإجهاض :

حرصت أغلبية التشريعات على معاقبة فعل الإجهاض واعتباره جريمة جزائية لأنه يشكل



اعتداء على حق الجنين في الحياة وفي نموه الطبيعي داخل الرحم حتى الولادة الطبيعية، كما يشكل اعتداء على حق المرأة في الحمل والإنجاب، وكذلك على حق المجتمع في التكاثر ضماناً لاستمراره وازدهاره.

وبموجب المادة ٥٤١ من قانون العقوبات اللبناني فإن كل إمرأة تجهض نفسها تعتبر مجرمة وتعاقب بالحبس ٣ أشهر إلى ٣ سنوات)، وكذلك يعاقب كل من أقدم على إجهاض إمرأة برضاها من (سنة إلى ٣ سنوات)، وكل من تسبب عن قصد إجهاض امرأة بدون رضاها يعاقب بأشغال الشاقة ٥ سنوات على الأقل)، كما ويعاقب كل من يعمل على نشر وسائل الإجهاض أو توزيعها أو تسهيل استعمالها، وكذلك كل من يبيع أو

حقوق الإنسان في الإسلام

يعرض للبيع تلك الوسائل بالحبس والغرامة وبموجب المادتين ٥٣٩ و ٥٤٠ من قانون العقوبات اللبناني..

ويغلب الجانب الاجتماعي على المادة ٥٤٣ حيث تستفيد من عذر مخفف المرأة التي تطرح نفسها محافظة على شرفها، وكذلك من يقدم على هذا الفعل حفاظاً على شرف أحد فروعه أو أقاربه حتى الدرجة الثانية حتى لو قام بالإجهاض قصداً وبدون رضاها

إلا أن القوانين الوضعية في لبنان والدول الأخرى التي تمنع الإجهاض وتعاقب عليه تستثني من المنع والمعاقبة حالات الضرورة التي تلجأ المرأة أو طبيبها لإجراء الإجهاض كأن يكون الإجهاض هو السبيل الوحيد للحفاظ على حياة الأم ودرء الخطر عنها، إذا ما تعرضت حياتها بسبب وجود هذا الجنين إلى الخطر.

ويلاحظ أن الإجهاض العلاجي لا يمكن إجراؤه إلا ضمن الشروط والتحفظات التالية:

-أن يكون هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذ حياة الأم.

-أن يستشير الطبيب المعالج طبيبين اثنين يوافقان معاً بالتوقيع خطياً على أربع نسخ بعد الكشف الطبي والمداولة أنه لا يمكن إنقاذ الأم إلا عن طريق الإجهاض.

الإعدام:

ترجع عقوبة الإعدام في جذورها التاريخية إلى المجتمعات القديمة، حيث اعتبرت الوسيلة الفضلى لإقتلاع جذور الجريمة وتطهير النفس من الإثم الذي إقترفته، وخير عبرة للآخرين. وقد إقترنت هذه العقوبة في تلك المجتمعات بأساليب التعذيب الجسدي حيث كانت تنفذ بالإحراق بالنار، أو بالتقطيع أو بالرجم. وإختفت تلك الأساليب بتطور المجتمع البشري، وباتت غاية الإعدام إزهاق روح الجاني بوسيلة تؤدي إلى هذا الغرض دون غيره، كالشنق أو الرمي بالرصاص، وقد أثارت عقوبة الإعدام نقاشاً حاداً عن مدى جدواها بعد بروز الإتجاهات الإنسانية والتأهيلية للعقوبات، وبعد بروز دور الدولة ومؤسساتها في مكافحة الإجرام واعتبارها مسؤولة عن الانحراف الجرمي.

على الرغم من الإتجاه الغالب في القوانين الحديثة والذي ألغى عقوبة الإعدام، فإن بعضها لا يزال يأخذ بهذه العقوبة لأنها بالإستناد لوجهة نظرهم تمثل أقصى درجات الردع للآخرين، وأقصى حالات الإستئصال للمجرم الخطير ولإرضاء شعور العدالة ومن أصابتهم الجريمة بآثارها المادية والمعنوية.

وعقوبة الإعدام مأخوذ بها في قانون العقوبات اللبناني، ويقرر المشرع عقوبة الإعدام لبعض الجرائم الخطيرة كجرائم الخيانة والفتنة، والقتل المقصود المقترن بظروف مشددة، والحريق العمد المفضي إلى موت إنسان وجنايات السرقة إذا نجم عنها موت إنسان.

ويجري تنفيذ الإعدام في لبنان بعد استطلاع

رأي مجلس القضاء الأعلى، ويلتزم وزير العدل بإحالة ملف الدعوى على المجلس في الحال مرفقا بتقرير المدعي العام التمييزي، وذلك ليبدي المجلس رأيه في تنفيذ الإعدام أو إبداله بغيره، ومكان التنفيذ عادة يتم داخل السجن،، ويجوز تنفيذه بصورة علنية خارج السجن، ولا يجوز تنفيذ حكم الإعدام أيام الآحاد والجمع والأعياد الوطنية والدينية، ونحن نرى أن الخطأ لا يواجه بخطأ آخر وإنما بوضع أسس صالحة لتوجيه الأفراد نحو السلوك السوي. يضاف إلى ذلك، فإن الإحصاءات لا تبين بشكل دقيق أن عقوبة الإعدام قضت على الجريمة في المجتمع. وإزاء عدم وجود الدليل الواضح على جدوى هذه العقوبة، يبقى من الأفضل عدم اعتمادها كعنصر رادع، وبالتالي التخلي عنها كجزاء بالنسبة إلى بعض الجرائم الخطيرة.

القتل الرحيم:

يقصد بالقتل الرحيم «الموت الميسر طبياً لشخص ميؤوس من شفائه، بدون ألم أو بتخفيف من آلامه رأفة ورحمة به، سواء أكان هذا الشخص مريضاً عادياً أم شخصاً مشوهاً»، ومن أمثلته إعطاء المريض جرعة كبيرة من دواء مخفف الآلام يكون كفيلاً بالقضاء عليه، أو سحب جهاز التنفس الإصطناعي فيقف تنفسه ويموت، أو الإمتناع عن تقديم العلاج له في حال كان الإستمرار في العلاج يطيل الحياة مع استمرار الألم بدون شفاء.

وموضوع القتل الرحيم يحظى بأهمية قصوى في يومنا هذا، مع ظهور العديد من الأمراض المزمنة والأخرى القاتلة في مجتمعاتنا مثل: فايروس كورونا كوفيد ١٩، والسيدا، والطاعون، والسرطان، وعجز



الطب عن شفاء العديد من الحالات الناشطة، و بدأت تسمع أصوات تنادي بضرورة تدخل رجال الدين والسلطات التشريعية لعدم تحريم عملية القتل الرحيم وإباحته أسوة بالعديد من الدول التي تبيحه ولا تمنعه أو تجرمه، أما في لبنان لا يوجد حتى الآن، أي قانون يسمح في الموت الرحيم، وبالتالي فإن القيام به يعتبر جريمة يعاقب عليها فاعلها وشريكه والمحرض عليها والمتدخل، حيث نصت المادة ٥٥٢ من قانون العقوبات اللبناني على أنه («يعاقب بالاعتقال عشر سنوات على الأكثر من قتل إنساناً قصداً بعامل الإشفاق بناء على إلحاحه في الطلب)».

ونحن إذ نؤيد الاتجاه الذي يمنع التلاعب بالروح الإنسانية التي قدستها جميع الديانات السماوية، التي اعتبرت أن الحياة هبة من الله تعالى لا يحق لأحد غيره أن يتصرف فيها، بل على العكس يجب العمل على تقديم الأمل للمرضى الميؤوس من شفائهم وأن لا نساعد قتلهم حيث لا رحمة بالقتل مع إثارة التساؤل التالي: من الذي يقرر أن الشفاء مستحيل؟.



قراءة في مقال الدكتور ناجي معروف
كلية الآداب ، جامعة القاهرة
بعنوان : عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان

كتابة : الأستاذ سليم يوسف

خلاصات

١- الإجماع التاريخي على عراقيته ولادة ووطناً وولاءً وثقافة .

٢- الاختلاف بشأن أصل أسرته بين فارسي أو أفغاني أو عربي ، ومجرد الخلاف يشير مع الترجيح إلى عروبته بحكم المواطنة والولادة.

٣- المعلوم تاريخياً أن ولادته في الكوفة لأسرة عراقية صميمية والأرجح أنه من أرض «بابل».

٤- تأكيد المصادر التاريخية على أن العراق كانت تسكنه القبائل العربية قبل الفتح الإسلامي.

٥- إسمه (النعمان) وهو- نبطي – بحسب الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، والنبطي يعني أنه من عرب سواد العراق ومن أسمائهم المعروفة : النعمان، وحارثة، وغيرها من الأسماء العربية الصريحة وإسمه على إسم الملك النعمان ملك العراق.

٦- الرواية المرفوعة إلى حفيده القاضي إسماعيل بن حماد(١)- وهو القاضي الفقيه الثقة - الذي قال : نحن أبناء فارس الأحرار، والمعروف أن الأبناء في تلك الحقبة من العرب المولدين، أي أنه من أبناء العراق الذي كان جزءاً من دولة فارس.

٧- تأكيد المراجع على أنه من أهل بابل – التي تصحفت عند بعضهم إلى (كامل) وبابل التاريخية هي العراق .

٨- إستناداً إلى المقولة الشهيرة (أهل مكة أدرى بشعابها) تؤكد المصادر الحنفية أنه عربي الأرومة، وأن ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من بني يحي بن زيد أسد، من عرب الأزد الذين هاجروا من اليمن وسكنوا أرض العراق بعد إنهيار سد مأرب الشهير جراء سيل العرم.

٩- المستشرقون ومنهم كارل بروكلمان كان رأيه مؤيداً لعروبة الإمام الأعظم حيث أشار في دراسته المنشورة في المجلة الإلمانية للمستشرقين إلى غفلة المؤرخين العراقيين عن عراقية أبي حنيفة وكونه من عرب الحيرة القدامى.

كما أكد الشيخ شاه ولي الله الدهلوي الفاروقي (ت١٧٦٢م) أن الإمام الأعظم من العرب لا غيرهم ، وإنتقد بشدة كل من نسبه إلى غيرهم ، والشيخ من كبار الأحناف العلماء.

١٠- يشارك الدكتور ناجي معروف في عروبة الإمام كل من العلاّمة الدكتور مصطفى جواد، والدكتور حسين علي محفوظ ،

والدكتور عبد العزيز الدوري، الذين قالوا مجتمعين: الغريب نحن العراقيون ننسب أعلامنا إلى غيرنا في ظل روايات متوفرة في العديد من المصادر ... و أما إرتباطه بتَيم فهو من باب الإتحاد القبلي وهذا معروف لأن أغلب عرب العراق تحالف مع القبائل الفاتحة، والخلاصة لدى كاتب المقال الدكتور ناجي معروف، رجّح عروبة الإمام أبي حنيفة، وأن أصله من عرب الأنبار في العراق والذين سكنوه قبل الإسلام.

و زيادة على ما ذُكر آنفاً نثبت فيما يلي المصادر والمراجع المعتمدة التي تؤكد على عروبة الإمام وتلقي ضوءاً على جذوره من حيث النسب :

١- رسالة من أبي حنيفة إلى عثمان البَتّي – مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٦١٧) ميكروفلم (٣٩٧٦٢).

٢- مجهول ، سيرة أبي حنيفة تحت رقم (١٣٧٨) علم الكلام، ميكروفلم (٣٩٩٢٧٠).

٣- أبو منصور الماتريدي ، تاريخ (أبو حنيفة)، مخطوط بدار الكتب العلمية المصرية تحت الرقم (٢٥٨) عقائد، تيمور، ميكروفلم رقم (٣٠٦٠٥).

٤- محمد بن يوسف ، مناقب الإمام الأعظم ، مخطوط بدار الكتب المصرية.

٥- البرازي (أحسبه ابن البزازي الكردري) الأعلام ٣٦/٨ مناقب الإمام أبي حنيفة مخطوط، النظامية الهند رقم (١٣٢٩).

٦- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تاريخ بغدادي ، مخطوط ، دار الكتب المصرية (٩٨٥) تاريخ ، ميكروفلم رقم (٢٠١٦).

٧- شاه ولي الله ، سيرة أبي حنيفة النعمان ، مخطوط صغير ، جامعة عليكرة، رقم (٩٦٣٥٠).

وأضيف المصادر والمراجع التالية التي ترجمت للإمام أبي حنيفة

٨- السمعاني ، الأنساب ٤٠/٣ سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩، تاريخ البخاري الكبير، ٥٩/٨، الجرح و التعديل ، ٨/ ٤٤٩، تاريخ بغداد ، المطبوع ٣٢٨/١٣، الكامل في التاريخ ٣٠/٥ ، وفيات الأعيان ٤٠٥/٥ تهذيب الكمال ، ١٠٢/١٩، تذكرة الحفاظ، ١/ ١٢٦ ، ميزان الإعتدال ٢٦٥/٤، العبر ، ١٦٤/١، مرآة الجنان ٣٠٩/١، البداية والنهاية ٨٦/٧، تهذيب التهذيب ، ٤٤٩/١٠، النجوم الزاهرة، ١٢/٢، شذرات الذهب ٢٢٧/١، تهذيب الأسماء واللغات٢/ ٢١٦، الوافي بالوفيات٧٤/١٦ ، الطبقات الكبرى لإبن سعد ٣٢٢/٧، المنتظم ، ١٢٨/٨، مرآة الزمان، ٢١١/١٢ وغيرها كثير وقلّ أن تجد مؤرخاً وعالماً من علماء التراجم إلاّ وتحدث عنه.

هوامش

١- الأعلام ، ٣١٣/١

٢- يطلق إسم الأبناء على قبيلة من سلالة سعد بن زيد مناف بن تميم ، كما يطلق على السلالة التي ولدت في اليمن من الفرس المهاجرين . دئرة المعارف الإسلامية ٦٦/١



الفكاهة و صحة الطفل النفسية

الدكتوره ربى شعراني
أستاذة جامعية من لبنان

تشير دراسات اليوم إلى أن الأشخاص الذين يتمتعون بقدر جيد من روح الفكاهة ينعمون بالرضا عن النفس، فهم ذو قدرة على توجيه حياتهم وترسيخ أقدامهم في العالم. وليس من السهل أن يغضبوا. هم يتمتعون بقوة إيجابية وبالتالي هم أقدر على التعامل مع الأحداث السلبية والتحكم في حالاتهم المزاجية. وهذه الفكاهة تحسن من صحتهم النفسية. وفي تجربة في إحدى الدراسات، على مجموعة من الأشخاص، تمّ أخذ عينات من الجهاز المناعي من دم المشاركين، نصفهم إستمع لحوار فكاهي، والنصف الآخر لم يستمع. واتضح أن الذين إستمعوا إلى هذا الحوار، كانت لديهم في دمائهم نسبة أعلى من المواد الكيمائية الخاصة بالجهاز المناعي القوي، قياسا على المشاركين الآخرين في الدراسة ممن لم يستمعوا إلى هذا الحوار. وهذا يدل على أن الأشخاص عندما يكونون متفائلين ويتمتعون بروح الفكاهة تزداد قدرتهم على المحافظة على أجهزتهم المناعية وتعزيز صحتهم البدنية.

الفكاهة وتعزيز العلاقات الإجتماعية

أجرى علماء النفس دراسات على تطور حس الفكاهة لدى الأطفال كمؤشر على قدرتهم على التكيف مع الصعاب حيث توصلوا إلى أن حس الفكاهة يساعد في تعزيز العلاقة بين الأم والطفل الرضيع، أي أن العلاقة الإجتماعية الأولى تعزز بوساطة حس الفكاهة. ومع إلتحاق الأطفال برياض الأطفال، ينظر الباحثون إلى الفكاهة باعتبارها أحد الأساليب الإجتماعية للتكيف مع الآخرين ، وأن الأطفال يستخدمون اللعب للتأقلم مع البيئة الإجتماعية، ويدرك الأطفال في وقت مبكر كيفية إستخدام الفكاهة لمساعدتهم في علاقاتهم الإجتماعية.

وتشير الدراسات إلى أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين (١٤-١٥) يسعدون برفاقهم الذين يتمتعون بحس فكاهة جيد، إذ يسعى الجميع لمصادقتهم وقبل أن يتمكن الأطفال من إستخدام حس الفكاهة مع الغير، يجب أن يكونوا قادرين على الوصول إلى معلومات معينة والتعامل معها بطريقة رمزية. ورجحت الدراسات أيضاً أن الأطفال الذين يدركون الحقائق ويمكنهم إستخدام المعلومات بصورة مجردة، من المحتمل أنهم سيتمكنون من إستخدام الفكاهة بأساليب معقدة لإقامة علاقات والمحافظة عليها. وإكتشفت أيضا أن معلمي الأطفال الذين يتمتعون بحس فكاهة عال يذكرون أنهم يتمتعون بالكفاءة في الصف الدراسي. ويشير حس الفكاهة إلى أن الأطفال يتمتعون بقدر من الوعي المعرفي والإجتماعي وكلاهما مؤشرات للصحة النفسية الجيدة

الفكاهة والحد من السلوكيات السلبية

كان هؤلاء الباحثون مهتمين بدراسة إحتمال الإرتباط بين سلوكيات الوالدين في طورالطفولة المبكرة وبين تطور أطفالهم في أوائل البلوغ، حيث توصلوا إلى أن الأمهات والآباء الذين إستخدموا كثيرا المزاح والمرح مع الأولاد في عمر الثلاث سنوات كان لديهم أولاد يتميزون بالإستقلالية وروح الدعابة في سن الثامنة عشر. وحقق هؤلاء

الأولاد نتائج نفسية طيبة عند بلوغهم (١٨)عاما. وقد حظي هؤلاء الأولاد بمستوى أعلى من المرح في حياتهم موازنة بالأولاد الذين تولى تربيتهم آباء يتسمون بقدر أقل من حس الفكاهة. ونشرت دراسة عن إستخدام الآباء لحس الفكاهة في الأسر التي لديها أطفال ذوو إعاقات حيث أشارت إلى أنها إستخدمت حس الفكاهة لعلاج سلوكيات أطفالها لسلبية أو العدوانية وساعدت على تماسك الأسر وإيجابية علاقتها وأيضا على الحد من السلوكيات السلبية. فحس الفكاهة أداة لحل المشكلات وإستقرار الأسرة.

الفكاهة ومواجهة المواقف العسيرة

يذكر أن الأطفال الذين يمكنهم مواجهة المواقف العسيرة بحس فكاهي وضحك يتميزون من مهارة رائعة في منهجية التأقلم الخاصة بهم، فالنزاع والإكتئاب والتوترات الأسرية وغيرها قد تشجع الأطفال على الإقدام على سلوكيات غير مقبولة لدى الأشخاص البالغين. و على الرغم من أن ذلك يتوقف على تطوير الأطفال للمهارات المعرفية والإجتماعية، فالدعابة تساعد على تخفيف حدة المشكلات.

الفكاهة والإبداع

أجريت دراسة على الأيام الأولى في المدرسة لمجموعة من الأطفال تبلغ أعمارهم إثني عشر عاما، فتوصلت إلى أن المعلمين الذين يستخدمون حس الفكاهة، يكون لديهم نجاح في توفير بيئات داعمة في فصولهم الدراسية ويكون الأطفال أكثر نجاحا حيث يتم نقل الرؤى والتوقعات الإيجابية للطلاب، فيشاركون بفاعلية أكبر. وظهرت نتائج توضح إرتباط حس الفكاهة لدى المعلمين بالتعليم الإبداعي. ويعتقد الباحثون أن العمل الناجح والإبداعي يتوقف على العديد من العوامل، ولكن حس الفكاهة يمثل أحد أهم العوامل المرتبطة بهذا التوجيه. فسبحان من علم معلمنا الأول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الهدي الشريف في مداعبته للصغير والكبير: فكان صلى الله عليه وسلم إذا مرّ بغلمان أو صبيان سلم عليهم ومازحهم.

كانَ حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ: يُرِيدُ أَنْ يَمْنَعَ الْحُسَيْنَ مِنَ الْحَرَكَةِ. وجعلِ الْغُلَامَ يَمُرُّ مَرَّةً هَاهُنَا وَمَرَّةً هَاهُنَا»: أَيْ: يُحَاوِلُ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ حتّى أنّه في أحد المرّات كان يصلّي وركب على ظهره الحسن أو الحسين فأطال السجود لكي لا يُعكّر عليه صفوه.عن أم خالد بنت خالد بن سعيد ـ رضي الله عنها ـ قالت: أتيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أبي وعليَّ قميص أصفر، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: سَنَهْ سَنَهْ، أي حسنة، حسنة. قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي (زجرني ونهرني) قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: دعها، ثم قال: أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي. في مداعبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم هذه، نرى كيف إتسع وقته واهتمامه لإدخال السرور على طفلة صغيرة، ولا عجب فهو الذي سئل عن أحب الأعمال إلى الله ـ عزّ و جلّ ـ فقال ـ صلى الله عليه وسلم : سرور تدخله على مسلم. فمداعبة الصِّغار لها أكثر من بُعد طيب وأثر إيجابي في نفس الصغير وأهله.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن – أي لم تسمن - ، فقال للناس : تقدموا فتقدموا ثم قال لي : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقته ، فسكت. حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس : تقدموا ، ثم قال : تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك ويقول : هذه بتلك . وقد قيل للخليل بن أحمد : إنك تمازح الناس، فقال : الناس في سجن ما لم يتمازحوا. إن السلف الصالح كانوا رحمهم الله إلى جانب ما هم عليه من العلم والعبادة والزهد والورع، على قدر كبير من التودد إلى الناس، وإدخال السرور عليهم، متأولين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إن من أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا.

والحمد لله رب العالمين



وجدانيات

كتابة : د.أسماء القادري
كاتبة من لبنان

ألم يسبق لك أن سألتَ نفسك سؤالاً : ماذا قدمتَ لمجتمعك ؟ هل سبق لك أن ساهمت في إصلاح المجتمع؟ هل سبق وأن نصحتَ أحدهم بإخلاص ؟ هل سبق وأن أنكرتَ منكراً ؟ هل قدَّمت يد العون مرَّة لأخيك الإنسانِ؟

أم أنك لا زلتَ تعتبر النصيحة تدخلاً في حياة الآخرين فتصمت وتقول نفسي نفسي.. تصور أنك في سفينة وقد تغرق مع الآخرين فهل تنتظر لتحيطك المياه ظناً بأنك تنجو وحدك ويغرق الباقون.. هذه و غيرها أسئلةٌ يطرحها العاقل ولو مرّة في حياته ..

قال تعالى:»كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله».. فلا يحق لأحد أن يخرج جهاراً فيفسد في المجتمع ونقف صامتين إزاء فساده، وكأن هذا لا يعنينا..مؤمن آل فرعون وغلام أصحاب الأخدود لم يكونوا أنبياء ليحتفي بهم القرآن ويخلد اسماءهم ، و طالما القرآن باق يتلى، فسيتذكرهم الناس إلى ما شاء الله..و ما كل هذا التقدير إلّا أنهم كانوا مصلحين وقت شيوع الفساد..ثابتين على الرغم من معرفتهم بما قد يحدث لهم جراء قول الحق. و زوجة سيدنا لوط عليه السلام رأت الفاحشة بين قومها، و علمت إنكار زوجها للمنكر ليلاً ونهاراً، ولكنها سكتت وصمتت على انتشار الفاحشة في مجتمعها، ولربما أنكرت على زوجها تدخله فعوقبت يؤكد ذلك قوله تعالى «فأنجيناه وأهله إلّا امرأته قدرناها



من الغابرين»..قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :»والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم «..ونتساءل لماذا لا يستجاب لنا ولماذا باتت أدعيتنا خاوية وقلوبنا واجفة..يقول الحسن البصري:»مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وإلّا كنتم أنتم الموعظات»أي يوعظ بكم غيركم لما سيحل بكم من سخط الله ولعنته بسبب إهمال هذا الأمر،

إن ارتكاب المنكر لا يعود بالضر على صاحبه فحسب، بل على مجتمع بأسره، والمنكر كالمرض المعدي فإن فشا ضاعت الأمم وانهارت الأخلاق وطغى الفساد ..إنّ العالم اليوم هو في حاجةٍ ماسَّة إلى أناسٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكرِ، ويحملون رسالة الإصلاح لتحقيق الخير

للبشريّة، إنّ مفهوم الأمر بالمعروف، مفهومٌ شاملٌ في الشريعة يتّسع ليشمل كلّ دعوةٍ إلى الخير، وأعظمُ الخير هو معرفة الله تعالى والدّعوة إليه، ثمّ تأتي بعدها الدعوة إلى قيم الخيرِ، ولنتأمّل موقف الإسلام حين يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يسأله : ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ؟ ..

فماذا تجيب؟ .. قال رسول الله :»أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنهم كانوا في البداية يتهاونون فيكون الرجل جليس الرجل وهذا يرتكب المنكر وهذا ساكت»..فترك الأمر بالمعروف هو البداية عند بني اسرائيل وقد لعنوا بسبب ذلك وكلما تم تركه فسدت المجتمعات..

كلنا نعرف اسطورة كرة القدم المصرية والعربية اللاعب ابوتريكة.

هذا اللاعب البطل الذي لا يخشى في الله لومة لائم..

لم تمنعه شهرته ومكانته الإعلامية ان يقول كلمة حق في رفض الشذوذ الجنسي والذي هو مخالف للفطرة الانسانية وترفضه كل الاديان..و بجهره إنكار المنكر كسر المعايير التي رسموها لإعلامهم، فجاءت كلماته غريبة بين هذا المجتمع الذي ألف الصمت، ورضي بالفساد و لم ينهِ عنه خوفاً أو اعتيادياً، وفي كلا الحالتين هذا يعني أننا عدنا إلى جاهلية مقيتة تزداد يوماً بعد الآخر.. أما اللاعب البطل أبو تريكة فقد خرج عن صمته وأعلن أنه مسلم يأبى إعلان الشذوذ و ترويجه حتى ليراه صغارنا في محافل دولية وبشكل واضح وفي مناسبات ترتادها كل شرائح المجتمع، لكي يجبرونا على تقبل فسوقهم وليصبح اعتيادا للناظرين وثقافة منتشرة..إنك أيها البطل قد تباهيت برفضك وبدينك في حين أن هناك الكثير من الأعناق طأطأت رؤوسها لتساير الغرب، وتتصنع عدم مس هذه المصطلحات



و النتيجة أن مجتمعاتنا تخسر دينها ودنياها.. أجل بصمتنا امتدت المثلية كشعار حتى بات النقاش في تقبل هذا الأمر بيننا وفي بلادنا مستساغاً.. شكرا لك أبوتريكة لانكارك المنكر، ورفضك لأن تكون الرياضة مجالاً لاقحام الشذوذ فيها، وهي التي تدعو إلى الأخلاق وليس الفساد والشذوذ..إنك و الله قد كسرت حاجز الصمت، و كأنك تطلب من كل مسلم:»اصرخ بانتمائك وعزتك لهذا الدين ..دافع عن دينك ولو خسرت مركزك الدنيوي ..حارب تلك الأفكار التي تهدد جيلاً كاملاً بل أجيالاً كثيرة.. حاربها وإلا باتت واقعاً يقض مضجعك ويهدد أسرتك ..كان قدوة بفعله وقوله ولم يخف لأن الله معه.. لأنه موقن من إيمانه وإلا ما معنى انتماؤك للاسلام إن لم تنطق بالحق وتجاهر بذلك..

كلمة حق قلتها يا بطل تدل على حسن اسلامك وغيرتك على دينك..أبو تريكة كان داعية في كل ميدان فمن قال ان الرياضة ليست ميداناً للدعوة وأنها إعمال للقدم وتسلية ومهارة للأجساد ..جعلها ميداناً للدعوة و برقي تفكيره أوضح أن الداعية الحق يستغل مكانه ولو في الملعب لينشر أفكاره.

يا (أبو تريكة) ! لربما موقفك خير

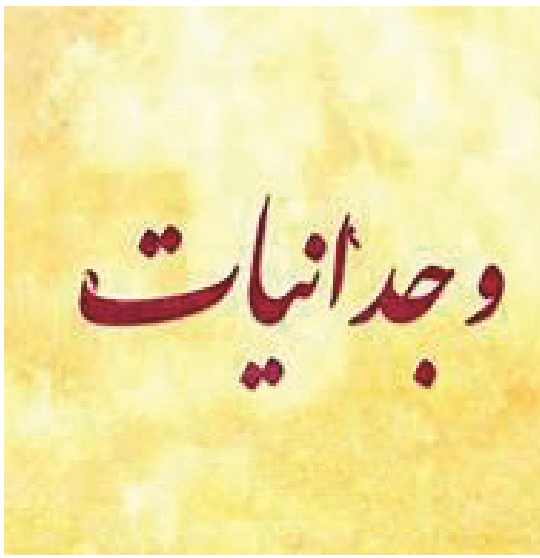
من كتب كثيرة ..و خير من خطب مذاعة ومحاضرات مسموعة..

إنها مسؤولية المؤمن في هذه الأرض فأن تكون مسلماً يعني أن تغير ما حولك ليتفق لا و دينك فحسب بل و اخلاقك أيضا ..لا أن تصمت و تتجاهل التصدي للمنكر .. فلابد من أن تملك الشجاعة لتصرخ بوجه الفاسدين أيا كانوا ، و ليكون لصرختك وقعها ، و لا يهمك إن همزوا أو لمزوا بشأن مستقبلك، فيكفيك انك عبرت عن رأيك و اتخذت موقفا ، فالحياة موقف فليكن موقفك مشرفا،

إن أبو تريكة في معركته ضد الشذوذ يقف الى جانبه كل البشرية المؤمنة التي تخاف أن تباد ويحل بها عذاب قوم لوط..و ابو تريكة لا يكتفي بأن يعلن اعتزازه بدينه مهما كانت التضحيات بل هو يعبر عن مناصرته لقضايا أمته من فلسطين وغزة إلى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرفع صوته عبر إظهاره ما كتبه على قميصه المبلل بعرق جهده في ختام مباراته وقد سلطت الكاميرات عليه ليناصر بطريقته المميزة التي أبدع فيها ليصبح رقماً عالمياً وعربياً كما كان في مبارياته..

إن أبو تريكة رجل لا يخشى في الله لومة لائم على الرغم من علمه أنه سيجابه من دول عظمى استساغت الفجور، ولكنه نطق بالحق ودافع عن دينه كما قال سيدنا علي رضي الله عنه:»لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه»..

فيا أخي المسلم ! إتخذ من هذا البطل مثلا و قدوة، و كن على ثقة أن باستطاعتك قول الحق بكل قوة وجرأة كما فعل هذا البطل ولو كنت وحيداً منفرداً في زمن انقلبت فيه الحقائق وتدنست فيه المفاهيم و فيه قلب بعضهم القيم فجعلوا الحق باطلاً والباطل له الكلمة الأولى والأخيرة..



قال الإمام الغزالي:»إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين..»

يقول سيد قطب : « تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية، بسبب التهديد بالفناء المعلّق على رأسها، فهذا عرض للمرض وليس المرض، ولكن إفلاسها في عالم القيم، التي يمكن للحياة الإنسانية أن تنمو في ظلالها نموا سليما وترقى رقيّا صحيحا «..لنبادر للإنكار ولو بالقلب حتى لا تعتاد العيون على رؤية المنكر و لا تسمعه الآذان أو يستكين له القلب ويألفه بعد أن صمتت ألسنة بعض الضعفاء و خارت قواهم عن إتخاذ موقف راقٍ كما ارتقى أبو تريكة و دافع عن بدينه ..فشكراً لك يا بطل المحافل..شكراً لأنك علمتنا معنى أن يكون المرء مسلماً ويفخر بإسلامه ..شكراً لك لأنك أيقظت أمة من سباتها لتعلم ما يحاك لشبابها فلا تختبئ خلف مشاعر الجبن والخوف..شكراً لك لأنك علمتنا معنى الدعوة في كل ميدان فالإسلام لا يقتصر على المشايخ والدعاة فكل منا داعية ومسؤول. في أي مجال كان و في أي مكان ..

نترككم بحفظ الله

أقوال مأثورة



· كفى المرء فضلاً أن تُعَدّ معايبه.

· تنكشف الأخلاق في ساعة الشدّة.

· إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

· الخلوق مَن إذا مَدحته خجل وإذا هجوته سكت.

· لا مروءة لكذوب ولا ورع لسيء الخلق.

· إعفُ عما أغضبك لما أرضاك.

· تواضع عن رفعة، وازهد عن حكمة، وانصف عن قوّة، واعفُ عن قدر.

· الخلوق صدوق، والعنيف ضعيف، والأصيل نبيل والحليم حكيم، والشريف عفيف.

· الحر تكفيه الإشارة.

· الحِلْمُ سيد الأخلاق.

· الدال على الخير كفاعله

·الشريف إذا تَقَوّى تواضع والوضيع إذا تَقَوّى تكبر.

EDZ
Electricité de Zahlé



بدنا نبقى عَ ضـو
الضوّ بـدو إنتـاج

شركة كهرباء زحلة



اللغات التي تنشر بها: العربية والفرنسية والإنكليزية والإسبانية

عدد الإصدارات لتاريخه: أكثر من ...١ عنوان كتاب

عدد الإصدارات السنوية: أكثر من ٣٥٠ عنوان كتاب جديد

هاتف: 12/ 11/ 804810 5 961+ فاكس: 804813 5 961+

ص.ب: 9424 - 11 بيروت – لبنان رياض الصلح – بيروت 1107 2290

e-mail: sales@al-ilmiyah.com - info@al-ilmiyah.com

www.al-ilmiyah.com

أحدث إصدارات Latest

قائمة الإصدارات Catalog

الموقع الإلكتروني Website

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban